

محمد الصالح الصديق

عملية العصفور الأزرق

أخطر عملية وأخسها دبّرها قادة الاستعمار الفرنسي لإحباط ثورة الجزائر التحريرية، فقلبها عليهم دهاة الثورة، فكانت بردا وسلاما على الجزائر، وشؤما ووبالا على فرنسا



محمد الصالح صديق

عملية العصفور الأزرق

أخطر عملية وأخسها دبَّرها قادة الاستعمار الفرنسي لإحباط ثورة الجزائر التحريرية، فقلبها عليهم دهاة الثورة، فكانت بردا وسلاما على الجزائر، وشؤما ووبالا على فرنسا



قبسات

من القرآن الكريم

قال الله تعالى: (... وظنّوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا. وقذف في قلوبهم الرعب يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولي الأبصار) (سورة الحشر / الآية ا).

(... وقذف في قلوبهم الرعب، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا. وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديرا) (سورة الأحزاب / الآيتان: 26-27).

من السنة النبوية:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أيّ العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله) - متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي: اللون لون دمٍ، والريح ريح المسك) - متفق عليه.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحرب خدعة» - أخرجه البخاري في 56 كتاب الجهاد 157 باب الحرب خدعة.

من الشعر العربي

كفاية الله خير من توقينـــا ... وعادةُ الله في الماضين تكفينا

كاد الأعاديَ فلا والله ما تركوا ... قولا وفعلا وتلقينا وتهجينـــا

ولم نَزِدْ نحنُ في سرٍ وفي علَنٍ ... على مقالتنا يا ربنا اكفينـــا[1]

فكان ذاك وردَّ اللهُ حاسدَنـــا ... بغيظه لم ينل تقديره فينـــا

عبد الله بن سليمان بن وهب

---

(1) اكفينا للوزن.

تصديـــر

بقلم المؤلف

عندما صدر هذا الكتاب: (العصفور الأزرق) سنة 1990 باللغة العربية، في مطبعة دحلب، تلقاه معظم القراء وسوادهم بالترحيب والابتهاج، فلم تمض إلا فترة وجيزة حتى نفدت طبعته، وما التقينا مجاهدا أو مناضلا أو وطنيا صادقا أو طالبا في ثانوية أو جامعة، إلا أبدى ارتياحه وعبّر عن إعجابه وتقديره أو اندهاشه من هذه العملية المثيرة، مما شجعنا على إصدار كتب أخرى في محيط الثورة، كنا قبل ذلك نوثر عليها كتبا أخرى ربما كانت الظروف الراهنة المهيمنة على الساحة العربية الإسلامية تفرضها وتتطلب التعجيل بها.

وإنما تلقوا الكتاب بهذه الرغبة، وهذا الابتهاج، لأنهم رأوه -رغم صغر حجمه- عملا جديرا بكل تنويه وإشادة وتمجيد، أليس قد كتب عن قضية خطيرة لم يسمعها أحد ولا يسمعها إلا غمرته دهشة، واستبد به انبهار، أو اعترته حال من الصوفية الشاعرة فيها الحب والشوق، وفيها التقدير والإجلال لأبطال نوفمبر الأشاوس وفدائييه المغاوير الذين كانوا بسطاء في أزيائهم وأسلحتهم، أميين لا يقرأون ولا يكتبون، فقراء، كانوا تحت الاستعمار الفرنسي البغيض، يبنون ولا يسكنون، يزرعون ولا ياكلون، يغرسون ولا يجنون، ولكن إيمانهم بالله وثقتهم به، وحبهم لوطنهم، وغيرتهم عليه، وتقديسهم لثوابت أمتهم، وتفانيهم في الدفاع والتضحية في سبيلها، وبغضهم الدفين في الأعماق للاستعمار الفرنسي المقيت، الذي ألحّ عليهم بالقهر والفقر والعذاب والخراب وسلب الاستقلال وسوء الاستغلال، كل ذلك رفعهم إلى أعلى، وجعلهم أبطالا عمالقة، ونماذج إنسانية رفيعة، يأتون من الأعمال أروعها، ويصنعون من الأحداث ما يعد من نسج الخيال، وهو في الواقع حقيقة وصدق.

إن عملية -العصفور الأزرق- عملية عجيبة خطيرة، تكمن فيها عبقرية الثورة الجزائرية التحريرية، ويصعب على الإنسان أن يعيها ويستوعبها ويصدقها، إلا أن يكون له من حب الوطن والثقة فيه، والإيمان بوجوده الفاعل الخلاق، ما يجعله لا يستعظم في شأنه أمرا مهما كان كبيرا، وأن يكون له مع ذلك اطلاع على سير هذه الثورة من يوم اندلاعها، وعلى صنائع أبطالها المغاوير التي كانت تفتك إعجاب العالم، وترجف منها قلوب قادة فرنسا السياسيين والعسكريين.

ورغم أهمية (عملية العصفور الأزرق) التاريخية، وأهميتها فيما انجرّ وراءها لفرنسا من خسارة فادحة، فإن الكثير من كتّاب فرنسا يسكتون عنها كأنهم لا يريدون أن يذكّروا بها لأنها تمثّل انتصار الثورة وقادة الثورة وضحكهم على قادة فرنسا، وهذا (إيف كوربير) المرجع التقليدي لبعض جهلة حقائق تاريخنا الوطني يعرض عنها ولا يذكرها، وأمثاله كثير.

وما أصعب أن يعي هذه العملية ويستوعبها ويصدّق بها، من تغلغل في أعماقه حب فرنسا، وهام في غرامها، ويرى أن الله رفعه عن مستوى البشر بهذا الحب، فلا يتكلم إلا بالإشارة، ولا يجالس إلا في الصدارة، ولا يتمشدق فمه إلا باسم فرنسا وحضارتها!!

كما أنه يصعب جد صعوبة، أن يعيها ويستوعب فصولها وخطوطها من لا وطنية له، ويكبر في نظره أن يعزى إلى أبناء جلدته عمل تاريخي فاخر كعملية -العصفور الأزرق- ومن هنا كان بجانب أولئك المعجبين بالكتاب، المهللين له المنوهين به، الشاكرين للمؤلف صنيعه وموقفه، أناس -وهم قلة ولله الحمد- وقع الكتاب عليهم وقوع الصاعقة، وزلزلهم زلزالا شديدا، وأفقدهم ما عسى أن يكون فيهم من تعقل واتزان، فراحوا يهرفون بما لا يعرفون، وأنستهم لذة التبجح والتطفل والغرور أن هناك نفوسا كريمة، تحرص على الأمانة وهمما قويمة عالية تصد عادية

المغرضين أينما كانوا، وكان هؤلاء يحاكون الآلة الصماء التي لا إرادة لها، ولا حركة إلا وفق رغبة محركها، ومشيئة صانعها.

إن هؤلاء المساكين -وما أقلهم في الجزائر والحمد لله- يصدقون بكل سهولة كل ما شئت من مفاخر وصنائع ومواقف تاريخية، تنسبها إلى أسيادهم الغربيين، ولكن إذا نسبت شيئا من ذلك إلى العرب والمسلمين، وخاصة إلى أبناء جلدتهم لم يستسيغوه ولم يقدروا على تصديقه ولو أرادوا.

ومن هؤلاء القلة المساكين من ذهب به النزق بعيدا، وارتكس في حمأة الجهل والبله والعته إلى الذقن، فقال إن هذه العملية -العصفور الأزرق- ابتكرها المؤلف، وبنى لها من خياله ووهمه قصرا شامخا ليوهم ضعاف العقول، وسطحيي التفكير أن منطقته تصنع التاريخ وتبني الأمجاد، (أو هذا مؤدى هوسه وهرائه).

وأذكر للتاريخ أن الأخ الراحل والصديق الحميم الأستاذ مولود قاسم قرأ هذا الضلال المبين في جريدة -الشعب- فهتف إلي في عصبية قائلا:

هل قرأت -شعب- اليوم؟ فقلت له: نعم، فقال: هل قرأت سخائف فلان الذي أنكر وجود عملية -العصفور الأزرق- التي هي موضوع كتابك الأخير؟

فقلت له: قرأتها وتقيأت منها (أكرمكم الله). فقال: هل يمكن أن نتقابل هذا المساء؟

وفي المساء رافقني الأستاذ محمد نسيب رحمه الله- وما كدنا نستوي على مقاعدنا، حتى اندفع في ثورة عارمة يتحدث عن عملية -العصفور الأزرق- وعن كتابي عنها، وقال: يجب أن ترد على هذا الذي نفى وقوع هذه العملية التاريخية الخالدة في ثورة الجزائر، وإذا سكتنا عن مثل هذا فسوف يكون في الجزائر بعد سنين من ينكر وجود الثورة التحريرية بكاملها وبعد ذلك سيكون من ينكر الجزائر أصلا...

فقلت له: لن أرد عليه، بل الرد عليه أبعد من المستحيل.

فكان رحمه الله جالسا، فانتفض واقفا، فقال -وهو يحلب ريقه، ويحدثني باستغراب- لما لا ترد عليه فقد اعتدى عليك وعلى الثورة، فإذا تنازلت عن حقك فلا ينبغي أن تتنازل عن حق الثورة؟

فقلت له: لا أرد عليه لسبب واحد لا ينبغي أن يعزب عنك، وهو أني لا أريد أن يشتهر أحد على حساب فكري وقلمي..

وهنا هدأت ثورته، وجلس وأخذ يقص عن طه حسين في هذا الموضوع.

ولما نشرت صحيفة (الشعب) مقالا، تحامل فيه كاتبه على الأخ مولود قاسم، قلت له -وهو يتحدث عن هذا المقال- لماذا لا ترد عليه؟ فسكت قليلا ثم قال مبتسما:

لا أريد أن يشتهر أحد على حساب فكري وقلمي!

وهنا نعترف بأن هناك رجالا مخلصين رضعوا الوطنية الصادقة في حليب أمهاتهم أخلصوا للجزائر وخدموها وانتقش في أعماقهم أن الوجود الصحيح للإنسان قائم على الصلات بينه وبين ربه ووطنه وتراثه وذكرياته وأمانيه، وهذه الصلات تظل قوية كالنار في البركان الهادئ تسكن ولا تنطفئ وتكمن ولا تظهر، حتى إذا أثارتها الحمية لدين يهان، أو لوطن يهاجم، أو لحق يجحد، انفجرت في النفوس انفجار الحمم فلا تذر من شيء أتت عليه إلا أهلكته.

وهكذا امتشق رجال مخلصون أقلامهم، فكتبوا يدحضون الباطل، ويفندون الكذب ويخرسون الألسن، ويعلنونها صريحة مدوية لا شبهة ولا لبس فيها، أن من ينكر عملية -العصفور الأزرق- فهو عصفور أخرق، ومن يتنكر لوطنه، أو يسعى لطمس معالمه، أو يهون من شأنه، فهو ضعيف دليل، فتنه التقليد السخيف، وكبر مقتا عند الله وعند الناس، أن يستهين بثورة حررته من الاستعمار، وبأبطال رواد صنعوا المعجزات، وافتكوا بخوارق أعمالهم وخوالد بطولاتهم إعجاب العالم أجمع.

ثم أليس قبيحا مخجلا أن يتغذى الإنسان بخيرات بلده، ويستظل بسمائه، ويشرب من مائه، ويتنسم من هوائه، وهو له خصم لدود؟

أما الذين تصدوا للبهتان المبين، إحقاقا للحق وإبطالا للباطل، فكثير نكتفي بثلاثة منهم وهم المرحوم العلامة الشيخ أحمد حماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، والمؤرخ الأستاذ أحمد ساحي، والسيد إسماعيل ميرة ابن البطل الشهيد عبد الرحمن ميرة، وقد أثبتنا نصوصهم في هذه الطبعة والطبعة الفرنسية لثلاثة أسباب:

1- لأنها تثري الموضوع وتلقي عليه مزيدا من الضوء!

2 - لأنها تعكس غيرة الوطنيين الخلص على الجزائر!

3 - لأنها تخرس ألسنا كاذبة، وأقلاما مسمومة، وتضع حدا للمهارشات الصبيانية، وتلقن عصابة الوالغين في عظمة الثورة التحريرية درسا حتى يطأطئوا الرؤوس خجلا ويلتزموا حدودهم وأماكنهم!

ونريد في الختام أن نلاحظ أننا لا نضمر لأحد كراهية أو حقدا بقدر ما نرثي لحال من يتساهل في شأن من شؤون الوطن أو يستهين بثورته العظمى.

وللحقيقة والتاريخ فقط نلاحظ أننا إذ نكتب عن الثورة وعن أمجادها وصنائعها المثيرة المدهشة التي منها (العصفور الأزرق) إنما نفعل ذلك لأننا -ولله الحمد والمنة- ممن لبوا نداءها عند اندلاعها وعاشوا أحداثها في مختلف مراحلها وكان رئيس هذه العملية العقيد إعزورن محمد رفيق النضال قبل اندلاع الثورة، ورفيق الجهاد بعد اندلاعها، ومن هنا نعرف عن هذه العملية الشيء الكثير، ولا يبعد أن نتناولها يوما بكيفية أوسع إذا كان في العمر بقية، لأنها بحق عملية جديرة بكل عناية واهتمام، فهي عظيمة بتخطيطها، عظيمة برجالها، عظيمة بنتائجها وأبعادها.

محمد الصالح الصديق

القبة في 30 محرم 1422 هـ

الموافق لـ 24 أفريل 2001

الأزرق الأخرق

ذُكَرنـــا
محمد الصالح الصديق
بخير ذكرى من التاريخ إلزامـــا

بعثت مِن رَحِمِ التاريخ أرحامـــا
وصغتها أَحْرُفًا في الشُمِّ أعلاما

من الدِّماء التي سالـــت مُطـــرزة
في الأخضر الأبيض المرفوع إسلاما

يأبى الهلال وذاك النجمُ ما رُفعـا
إلا احمرارا بوجه الشعب صمّامـا

ليست خيالا يبلَّ الرّيق من ظمـإ
بل الحقيقـة إحكامـا وأفهامـــا

شلَّت فرنسا فما طارت وما فرحت
بالأخرق الأزرق العصفور إكرامـا

بل أصبحت في حضيض الطين سافلة
وأصبح النصر في الميدان أوهاما

الصادق سلايمية

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،

وبعد، فطالما هممت بالكتابة عن مؤامرة سوستيل التي أطلق عليها هذا الاسم: «العصفور الأزرق»[1].

ويرجع اهتمامي بالمؤامرة إلى أسباب متعددة:

منها أنني كنت على علم منها عند تنظيمها لأني كنت أعمل تحت مسؤولية المرحوم العقيد (محمد إعزورن) من 1954 إلى 1957، الذي أصبح قائد هذه المنظمة، كما أني كنت أعرف طائفة - من مجندي سوستيل للمؤامرة وبعضهم عشت معهم الطفولة وجزءا من الشباب، مما جعلني أحس نحوهم وهم في هذه المنظمة- بالترابط العملي، والوجود الفعلي.

وستظل صورة واحد من هؤلاء عالقة بذهني ما دمت حيا لشجاعته، وأعجوبة نجاته من الموت، يوم انكشاف المؤامرة، وكان قد وقع أسيرا في أيدي الفرنسيين، فتحين فرصة للفرار، وفعلا تم له ما أراد ولكن عندما أوشك أن يتجاوز محيط الخطر، ويتخلص إلى غابة كثيفة يغيب فيها عن الأعين، تفطنت له دورية عسكرية، فأطلقوا عليه وابلا من رصاص رشاشاتهم فأصيب بجروح، ولكنه استطاع أن يقذف بنفسه من شفا جرف هار، ثم اختفى بين الصخور والأشجار، وعندما جنَّ الليل تحامل في مشيه إلى أقرب القرى ونجا من الموت وقضى نحوا من ثلاثة أشهر في

---

(1) سألنا العقيد محمدي السعيد عن سبب التسمية بهذا الاسم فقال إنه مجرد اسم وضعناه للمؤامرة. واهتدينا أخيرا إلى أن سبب التسمية يعود إلى العميل الذي كان له الدور الفعال في المؤامرة كان يملك حافلات للنقل العمومي كتب على جوانبها: «العصفور الأزرق».

المعالجة، وفي سنة 1960 م، انضم إلينا في إدارة البعثة الجزائرية بطرابلس (ليبيا) وظل معنا إلى أن انتهت الثورة وكان كلما تحدث عن المؤامرة- وما أكثر ما يتحدث عنها- هز رأسه وضحك في سخرية، من بلاهة المسؤولين الفرنسيين وقال: «إن فضلهم لا ينسى...».

ومن الأسباب أن مثل هذه المؤامرة لا ينبغي أن تغمط بين أحداث الثورة التي لها دلالاتها العميقة، وأبعادها الإيجابية المادية والمعنوية.

ومنها أيضا أن أكثر الناس -على اختلاف فئاتهم يجهلونها، وليس من المبالغة في شيء، أن نقول أن جل أبنائنا على اختلاف مستوياتهم لا يعرفون عنها شيئا، مع أنهم أول من ينتظر منهم أن يعرفوا تاريخ وطنهم، وخاصة تاريخ الثورة التحريرية التي لولاها لكان لهم وضع آخر ماديا وأدبيا أقل ما يقال عنه أنه وضع (العبيد).

والمؤامرة -بجانب كل ما ذكرنا- جديرة بالاهتمام، حقيقة بأن تعرف، فهي من الأحداث التاريخية التي ستظل على الدوام مثال العبرة والادكار:

فسوستيل رجل له وزنه في الدولة الفرنسية:

منصب خطير، وصوت مسموع، وأمر نافذ، وطموح لا حد له، وعزم مشبوب على إعادة أغلال العبودية، وأثقال الطغيان إلى الثوار الذين (خرجوا عن القانون).

خطط هذا الرجل (المغرور) بمهارة لا ترتقي إلى مستواها إلا مهارة إبليس لطعن الثورة في الصميم حسب ظنه، فلا تمضي إلا أيام قليلة - في نظره- حتى يتخلص من قادة الثورة في منطقة القبائل، وتنتقل العملية بعد ذلك إلى مناطق أخرى من الجزائر وما هي إلا أسابيع حتى يصبح الثوار في مختلف المناطق بلا قادة فتضطرب أمورهم، ويختل نظامهم، فلا يلبثون عندئذ أن يعلنوا استسلامهم، ويعودوا إلى السلطات «الفرنسية» -نادمين- يطلبون العفو، ويرجون الغفران...

هكذا قرر سوستيل (المفكر) وهكذا خطط... ولكنه نسي تخطيط الله وتقديره وجهل قوله تعالى في قوم يشبهونه:

(... يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار...) وغاب عنه قول الشاعر الحكيم:

تقفون والفلك المحرك دائر ... فتقدرون فتضحك الأقدار

فرجع كيده إلى نحره، والطعن إلى صدره...

- وإذا تخطيطه، وتقديره، وآماله، كلها قد ذهبت أدراج الرياح...
- وإذا ثورة التحرير تتضاعف قوتها، ويتسع لهيبها، لتنتصر نصرا مبينا.

وإذا الغثاء يجرفه السيل، والباطل يدمغه الحق، والخداع يفضحه الوعي، والأرض تطهر من السحتلين المتطفلين، الذين رتعوا في مرعاها الخصيب، ثلاثين ومائة عام.

من أجل ذلك كله رأيت أن أكتب هذه الصفحات عن الحرب النفسية القذرة التي لم يفتإ المسؤولون الفرنسيون يمارسونها ضد ثورتنا التحريرية- خاصة مؤامرة «العصفور الأزرق».

وقد وضعت في مقدمتها:

- ميثاق الثورة
- المبادئ العشرة للثورة
- رسالة جيش التحرير الوطني إلى الجيش الفرنسي
- تحية المجاهد

وضعتها في مقدمة الكتاب لهذين الهدفين:

أولا: الرغبة في الالتفات إلى الثورة والحرص على التعامل مع تاريخها.

ثانيا: لفت الأنظار إلى الفرق بين ثورتنا والحرب التي كان يقودها الجيش الفرنسي ضد الشعب الجزائري. فطابع الحرب الفرنسية: الوحشية، والقساوة، والعنصرية، واللاإنسانية، بما تحمله الكلمات من المعاني والدلالات.

أما طابع ثورتنا التحريرية فعكس كل ما تقدم، اتسمت ثورتنا -والتاريخ يشهد- بالشعبية، والديمقراطية، والإنسانية.

فشعبية ثورة التحرير الجزائرية تتضح في أنها كانت من صميم الشعب، فلم يفرضها عليه زعيم على الشعب أو ملك، وإنما انبثقت من أعماقه، ومارسها بدافع من نفسه. وديمقراطية ثورة التحرير الجزائرية تظهر في نظمها وأجهزتها، وخطط أعمالها، وأسلوب إدارتها.

وإنسانية ثورة التحرير الجزائرية تتجلى في التكوين الثوري الذي تكون به المجاهد الجزائري، فهو لم يكن فوضويا، أو متمردا، أو متهوشا، بل هو مناضل منظم، لا يخضع للعوامل العاطفية الفردية، وإنما يخضع للرأي والتدبير والخطة المدروسة.

«وهكذا رفعت الثورة الجزائرية مستوى الفرد الجزائري في الميدان الإنساني، فأنقذته من الانحطاط الأخلاقي، وصيرته إنسانا راقيا في أخلاقه وتفكيره، وفي تصرفه وأهدافه، وفي مثله في الحياة».

والإنسان، أو المجاهد الجزائري علّمه دينه قبل كل تعليم، كيف ينبسط للخير ويحرص عليه، وينقبض عن الشر وينفر منه.

وهذا ما تقف عليه -قارئي العزيز- في هذه العناوين التي حليت بها جيد هذا الكتاب الذي أقدمه إليك آملا أن تقرأه بعقلك وقلبك لتتبين واجبك نحو هذا الوطن بعد أن حرره الآباء والأجداد والإخوة.

والله نرجو أن يرحم شهداءنا الأبرار ويحفظ وطننا العزيز من كل سوء، وينصره في جهاده الأكبر نصرا مبينا، إنه سميع مجيب.

محمد الصالح الصديق

القبة الجزائر في 4 رمضان 1408 هـ

الموافق: 22 أبريل 1988 م

مقدمة الطبعة الثانية

مضى على صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب باللغة العربية مدة طويلة (1988 – 2007) بقدر أن يعاد فيها طبعُه مرّات عديدة، لإقبال القرّاء عليه في مختلف أرجاء الوطن، وذلك لغرابة قصته، وفعالية أثرها في مجرى الثورة الجزائرية، ودلالتها العميقة على عبقرية قادة الثورة ودهائهم، وغباوة القادة الفرنسيين، وانطلاء الخدعة عليهم!

بيد أن الكتاب ترجم خلال هذه المدة إلى اللغة الفرنسية استجابةً لرغبة المجيدين لهذه اللغة، فشغلنا ذلك عن إعادة طبعه بالعربية، كما أنه قلل فينا الرغبة، وجعلنا نطمئن إلى أنه متوفر في المكتبات ومعظم الناس يحسنون اللغة الفرنسية فيقرأونه بها.

ولكن القراء ما فتئوا منذ أن نفدت طبعته بالعربية يسألون عنه، ويرغبون الرغبة الملحة في إعادة طبعه، وتتجلى هذه الرغبة أكثر في المناسبات العامة التي ألتقي فيها بمختلف الفئات المثقفة، كذكرى أبي يعلى الزواوي في أزفون (جويلية 2005)، وذكرى الشرفاوي الأزهري بعزازقة 2006.

ومع هذا الإلحاح كنا قد آثرنا مجموعة من الكتب كانت مجهزة للطبع، مما أخّر هذه الطبعة أيضا إلى هذا الوقت، فليعذرنا القراء الكرام!

والذي نسجله، ولاحظناه في غير هذا المكان أن قصة العصفور الأزرق قصة هامّة ينبغي أن يعرفها كل جزائري وجزائرية بالخصوص، ليعرف عظمة هذه الثورة، التي وضعت النهايةَ لاحتلال طال أمده، واستشرى عذابه وقهره، ويعرف أبطال هذه الثورة، وقادتَها كيف كوّنتهم المحَن والشدائد، وكيف يخططون للعمليات الحربية بفكر بارع، وهم لم يتخرّجوا من كليات حربية، وإنما تخرّجوا فقط من مدرسة الثورة، ومن أتون المحنة، وأمدّهم الله بروح منه!

إن هذه القصة (العصفور الأزرق) بالخصوص، لا يمكن أن يصدق بها، ويؤمن بفصولها وأحداثها المختلفة، إلا من عاش هذه الثورة، وواكب وثباتها، وعرف الشعب الجزائري ورصيدَه الضخم في الأصالة والرجولة والبطولة!

من يصدق أن القادة الفرنسيين الذين حنكتهم الحروب، يضعون مخططا رهيبا لإحباط ثورة التحرير، وإجهاضها، ثم إن قادة الثورة -وهم رجال بسطاء في أزيائهم، وأسلحتهم، وثقافتهم- يقلبون عليهم الوضع كلية، ويجعلون تدميرَهم في تدبيرهم، وتخطيطهم لصالح الثورة وتحويل مجراها؟

من يؤمن بهذا أو يصدق إلا أن يكون، وطنيا صادقا، أو مواطناً صالحا، أو عارفا لطبيعة هذه الثورة وطبيعة أهلها!

أما الدخيل على هذه الثورة، أو من على بصره غِشاوة، أو من اتّخذ فرنسا آلهة من دون الله، فأنّى له أن يصدّق بمثل هذه القصة، التي تصوّر الطاغية الفاجر أصغرَ من أن يُنظر، وأحقر من أن يُذكَر!

إن الوطنيين الصادقين، والمواطنين الصالحين، لم يصعب عليهم أن يستوعبوا القصة ويهضموها، عندما قرأوها في هذا الكتاب في طبعته الأولى، بل منهم من كتب منوّها مشيدا، ومنهم من أذاع أو هتف معجبا شاكرا، ومنهم من تحدّث في الأندية أو المجالس فرحا فخورا برجال بلده، وأبطال ثورته!

أما البعداء عن هذا الوطن -وهم فيه ينعمون بشمسه وهوائه، ويتمتّعون بخيراته- فإنهم ما أن قرأوا الكتاب حتى ثاروا وهاجوا، وعزّ عليهم أن يضحك قادة الثورة الأبطال على ذقن فرنسا، ورأوا ذلك بهتانا عظيما في شأن فرنسا التي تغلِب ولا تُغلَب، وتهزِم ولا تنهزِم، في نظرهم!

ومن هؤلاء الذين في نظرهم قصور، وفي تفكيرهم عجز وخوَر، من ذهب إلى أن القصةَ لا أساس لها من الصحة، وإنما اخترعها مؤلف الكتاب، ونسبها إلى منطقة القبائل مسقط رأسه، ليعْلي من شأنها، ويستقطب نحوها الأنظار.

ونحن لا نملك إزاء هذه المواقف، وهذه المفاهيم، إلا أن نهنئ أهل الوطنية على وطنيتهم، ونشكرهم على تقديرهم لمجهودنا المتواضع الذي لا نستهدف به سوى خدمة الجزائر الحبيبة وثوابتها وتاريخها. أما الآخرون، فلا يسعنا إلا أن نرثى لحالهم، وندعوَ لهم

بالشفاء من مرضهم، وهل هناك مرض أشد وأعضل من التنكّر للوطن، والتهوين من شانه؟

هذا وقد أضفنا إلى هذه الطبعة -رغبةً في إفادة القارئ الكريم- ملاحق هامة تزيد القضية جلاءً.

والله نسأل أن يحفظ الجزائر من ذوي النفوس الدنيئة المدنسين، والخائنين، والمزورين، والمنافقين، إنه على ذلك قدير.

محمد الصالح الصديق

القبة الجزائر

في 30 ذي القعدة عام 1428 هـ

الموافق 10 ديسمبر 2007 م

ميثاق الثورة

الهدف

الاستقلال الوطني وذلك:

1- بإقامة دولة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية اجتماعية في دائرة المبادئ الإسلامية.

2- باحترام جميع الحريات الأساسية بدون ميز في الأجناس أو المعتقد.

الأهداف الداخلية:

1- التطهير السياسي بإقامة حركة ثورية تسير في طريقها الصحيح، وبالقضاء على جميع أنواع مخلفات الفساد والمحسوبية وسياسة الترقيع والإصلاحات التي هي سبب تدهورنا.

2- تكتيل وتنظيم جميع قوى الشعب الجزائري السليمة للقضاء على النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجية:

1- تدويل القضية الجزائرية.

2- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في نطاقها العربي الإسلامي الطبيعي.

3- في نطاق ميثاق هيئة الأمم المتحدة تؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تؤيد حركتنا التحريرية.

وسائل الكفاح:

تمشيا مع المبادئ الثورية واعتبارا للوضعية الداخلية والخارجية تقرر الاستمرار بجميع الوسائل حتى نهاية تحقيق هدفنا، ولكي نحقق

هذه الغاية فإن جبهة التحرير الوطني عليها أن تضطلع بمهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما:

أولا: العمل الداخلي في الميدان السياسي.

ثانيا: العمل الخارجي لجعل القضية الجزائرية حقيقة بالنسبة للعالم كله وذلك لتأييد حلفائنا الطبيعيين.

وهذه مهمة ثقيلة تتطلب تعبئة جميع القوى والمواد الوطنية.

وصحيح أن الكفاح سيطول ولكن نتيجته مؤكدة ومضمونة.

وأخيرا فلكي نتلا في التأويلات المزيفة والخاطئة، ولكي نبرهن على رغبتنا الحقيقية في السلم ونتلا في حياة الأفراد، ونحقن الدماء، فإننا نقدم مشروعا للتفاوض إلى السلطات الفرنسية إذا كانت هذه السلطات تحمل نية طيبة، وتعترف اعترافا نهائيا للشعوب التي تتحكم فيها، بحقها في تقرير مصيرها بنفسها:

1 - فتح مفاوضات مع الممثلين للشعب الجزائري على قاعدة الاعتراف بالسيادة الجزائرية التي لا تقبل التجزئة.

2 - إيجاد جو من الثقة وذلك بتحرير جميع المساجين السياسيين، ورفع التدابير الاستثنائية، والتوقف على تتبع القوات النضالية الوطنية.

3 - الاعتراف بالجنسية الجزائرية في تصريح رسمي ينسخ جميع القرارات والقوانين التي تقضي على الجزائر بأنها أرض فرنسية بالرغم من التاريخ، والجغرافيا، واللغة، والدين، والعادات، التي يتميز بها الشعب الجزائري.

وفي مقابل ذلك:

1 - فإن المصالح الفرنسية الثقافية والاقتصادية التي اكتسبت بصورة شريفة تكون محترمة وكذلك الأشخاص والعائلات.

2 – جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الخيار، بين جنسيتهم الأصلية، وفي هذه الحال يعتبرون كأجانب في نظر القانون، وإلا فإنهم يتحصلون على الجنسية الجزائرية، وفي هذه الحال يعتبرون جزائريين في الحقوق والواجبات.

3 – العلاقات بين فرنسا والجزائر تقام من جديد وتحدد باتفاق بين الدولتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

أيها الجزائري:

إننا ندعوك إلى التأمل في هذا الميثاق، إن واجبك هو أن تؤيده من أجل إنقاذ بلادنا وإعادة حريتها.

إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وانتصارها هو انتصارك، أما نحن الذين صممنا على متابعة الكفاح وأيقنّا بعدائك للاستعمار، وتعززنا بمساندتك لنا، فإننا نعطي الوطن أعز ما نملك.

جبهة التحرير الوطني

المبادئ العشرة لجيش التحرير الوطني

أولا : - مواصلة الكفاح إلى أن تحرر البلاد ويتحقق استقلالها التام.

ثانيا : - مواصلة تحطيم قوة العدو والاستيلاء على المواد والأدوات إلى أقصى حد ممكن.

ثالثا : - تنمية المقدرة المادية والمعنوية والفنية في وحدات جيش التحرير الوطني.

رابعا : - الجنوح بأقصى ما يمكن إلى الحركة والخفة وإلى التفرق - ثم الالتئام بعد ذلك والهجوم.

خامسا :- تقوية صلة الوصل بين مراكز القيادة ومختلف الوحدات.

سادسا : - توسيع شبكة الاستخبارات في وسط العدو ووسط السكان.

سابعا : - توسيع الشبكة العاملة على إقرار وتعزيز نفوذ جبهة التحرير الوطني لدى الشعب لتجعل منه سندا أمينا ثابتا.

ثامنا : - تقوية روح الامتثال للأوامر والملازمة للنظام في صفوف جيش التحرير الوطني.

تاسعا : - تقوية روح الأخوة والتضحية والعمل المشترك في نفوس المجاهدين.

عاشرا :- مراعاة المبادئ الإسلامية والقوانين الدولية في تحطيم قوات العدو.

رسالة جيش التحرير الوطني إلى الجيش الفرنسي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

جيش التحرير الوطني
جبهة التحرير الوطني

من القيادة العليا لجيش التحرير الوطني إلى القيادة العليا للجيش الفرنسي. أيها السادة:

ليكن في علمكم أننا مسلمون، وأننا نؤمن بالله الذي لا إله غيره، وبأن الإسلام هو الذي علّمنا مبادئ الرحمة والسخاء.

وامتثالا منا للتعاليم الإلهية فإن قيادتنا العليا قد اتخذت قرارا بتحرير أول أسير وقع في أيدينا، وذلك بمناسبة شهر رمضان الكريم.

وإننا نبعث إليكم مع الأسير الذي أطلقنا سبيله هذه الرسالة، وفيها نطلب منكم –أيها الجنود– أن تحترموا التعاليم الأخلاقية التي يعمل بها الجنود في أنحاء العالم كله.

لماذا تلقون قنابلكم، وتوجهون رصاص رشاشاتكم إلى النساء والأطفال والشيوخ؟ لماذا يحرق جنودكم أكواخ البؤساء الذين كانوا دائما فريسة للبؤس الذي ثار عليه الشعب، والذي نواصل كفاحنا من أجل القضاء عليه حتى الانتصار؟

لما تقتلون رجالنا الذين يسقطون أسرى بين أيديكم، ولأي سبب تمثّلون بجثثهم وتشوّهونها[2]؟

---

(1) في شهر رمضان من سنة 1956م قررت القيادة العليا لجيش التحرير الوطني الجزائري أن تطلق أول أسير فرنسي يقع بين أيدي جيش التحرير احتراما لهذا الشهر المعظم، واستجابةً للتعاليم الأخلاقية. فكان ذلك من حظ الجندي (روجي قال).

(2) ينزعون الأظافر بالمحددات والكلاليب، ويقلعون الأسنان، وينتفون الشعر، ويكتبون على جسم الضحية ما يريدون بمسمار أو موسى، ثم القتل في النهاية بعد أن يصبح الموت أمنية الضحية الغالية..

وكم من الأبرياء الذين ذبحتموهم تذبيحا، وأقمتم فيهم مجازر، وفي الوقت نفسه تغالطون الرأي العام في فرنسا وفي الجزائر وتؤكدون له أنكم تقتلون (الثوار).

إن أعمالكم هذه قد دفعت بعض جنودنا أن يقابلوا شركم بشر مثله، عندما يتقابلون مع جنودكم، فأخذوا يقتلون رجالكم الذين يستسلمون إليهم، ويمثلون بجثثهم، كما تفعلون بجنودنا، متجاوزين بذلك ما نصدره إليهم من أوامر صارمة تقضي بأن لا يقتلوا الأسرى وأن يعاملوهم معاملة طيبة كما تقضي بذلك مبادئ الإسلام والقوانين الدولية في الحروب[1].

ونحن نريد من وراء ذلك أن نقيم لكم الدليل على أننا جنود تحرير، وأنكم استعماريون وجنود بطش ومظالم[2].

إنكم أتيتم إلى بلادنا لتخدموا مصلحة فئة من الأغنياء، والمستعمرين... اعلموا أيها السادة أننا لحد الآن لم نرتكب أي عمل وحشي يشبه ما ارتكبتموه أنتم، وكل ما فعله بعض جنودنا من تلك الأعمال إنما كان كرد فعل على الجرائم التي تقترفها جنودكم وعصابات الميليشيا التي كونتموها وأفراد شرطتكم، ومع ذلك فإننا نلاحظ أنكم ما زلتم متشبثين ومصرّين على سلوككم في اقتراف هذه الجرائم[3].

---

(1) طالما قابل الفرنسيون الخير بالشر، والتسامح بالانتقام، والإنسانية بالوحشية الغادرة، فرد الفعل أليق بهم، وكتاب الله تعالى يقول: (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ويقول: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به).

(2) فالمجاهد الجزائري علمته الثورة الوطنية كيف لا ينساق مع عاطفته الفردية الشخصية، وكيف لا يخضع للنزعة الانتقامية إذا ما رأى ما يثير ذلك في طويته من مشاهد أليمة، بل يتجاوز الأفق الفردي الضيق، إلى الأفق الجماعي الواسع ويحاول أن يحتفظ بتوازنه الإنساني.

(3) إن القمع الوحشي الفظيع ما انفك ينتشر ويتسع في خط متصاعد، ابتداءً من إعلان حالة الطوارئ سنة 1955م إلى قرار السلطات الخاصة سنة 1956م إلى تطبيقها سنة 1957م ثم إلى نهاية الثورة بلا هوادة...

وكل ما تتفوقون به في هذا الميدان هو أنكم تستطيعون اقترافها في الظلام بعيدين عن أعين الصحافة والإذاعة... وبذلك بقي الرأي العام في العالم يجهل كل شيء عن جرائمكم ووحشيتكم[1].

إنكم هكذا -أيها السادة- تدفعوننا دفعا إلى أن نكون أشد منكم قساوة وغلظة ووحشية، وهي تتنافى مع وطنيتنا، وديننا الإسلامي، فنضطر لارتكاب العنف والغلظة والتوحش ضد نسائكم وأطفالكم وأن لا نشعر نحو ممتلكاتكم بأي رحمة[2].

إننا -أيها السادة- نبغض البطش ونحتقر الجلادين، ولا نؤمن بالشر، بل إننا قمنا بثورتنا لكي نحطم بها البطش والظلم[3].

فكونوا أنتم -أيها السادة- (الذين أتيتم إلينا بالحضارة والنور) كونوا رجال شرف وشهامة في حربكم ضدنا[4].

تجنبوا الأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين والعزل والمسالمين في أكواخهم، وإذا فعلتم ذلك فإننا نحن أيضا سنتصرف نحوكم تصرف

---

(1) ولا يحصى عددا من قتلوا بلا محاكمة، ومن عذبوا أفظع تعذيب وراء الستار، وعندما يكتشف الضباط الفرنسيون أن بعض جنودهم غير راض بهذه الأعمال الإجرامية لا يترددون في قتلهم، كما شهد بذلك الجنديان الفرنسيان (فينفوروجي) و(شومروميشيل) اللذان فرا من الفرقة الثامنة لجنود المظلات التي يقودها الكولونيل (فوركاد) في شهر ديسمبر 1957م، ووضعا أنفسهما تحت حماية جبهة التحرير الوطني.

(2) تلك أخلاق تتنافى والإسلام الذي هو دين هذا الشعب المجاهد. فقد روى الأئمة: أحمد، ومسلم، والترمذي وابن ماجه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أميرا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدة – إلخ....».

(3) لولا ذلك ما اندلعت ثورة التحرير، ولا ضحّى الشعب الجزائري بمليون ونصف مليون من أبنائه

(4) إذا كانوا يدّعون أنهم احتلوا الجزائر لتمدين شعبها وتحضيره، ورفع بنيه إلى مستوى (الآدمية).

الجنود الحقيقيين الذين لا يقتلون الأسرى ولا النساء والأطفال والمدنيين العزل من السلاح[1].

إن هذا الأسير الذي نطلق إليكم سبيله -أيها السادة- هو أحد جنودكم الذين يقاتلوننا، إننا لم نطلب إليه في وقت من الأوقات أن يرتكب خيانة، على أننا لسنا مستعدين أن نقبل منه خيانة لأننا نحترم الفضائل الإنسانية ولأننا نحتقر الخونة[2].

إننا لا ندعو أحدا لارتكاب الخيانة كما يفعل ضباطكم للشؤون الأهلية[3].

إن هذا الأسير الذي نطلق سبيله بمناسبة شهر رمضان امتثالا للالتزامات التي قطعناها نحو أنفسنا نحن، ونبعث إليكم معه هذه الرسالة آملا في أن تستخرجوا منها خيرا لبلادكم وبلادنا[4].

الطابع جيش التحرير الوطني

---

(1) ولقد سجل التاريخ في صفحاته الوضيئة صورا نبيلة مثيرة في منهج سلوك جيش التحرير الوطني تجاه أسرى فرنسا، فقد كان المجاهدون يعطفون عليهم، ويكرّمونهم، ثم يطلقون سراحهم وكلهم إعجاب بالروح الثورية العالية التي يتمتع بها المجاهدون الجزائريون، فمن الأحاديث التي نشرها الأسرى الفرنسيون قول ستة منهم أطلق سراحهم في شهر فيفري 1959م: «كان جنود جيش التحري يقدّمون إلينا الأكل قبلهم، وكان أكلنا جيدا، رغم نقصان اللحم، وعندما نطلب الزيادة لا يرفضون علينا أبدا، وكانوا يحترموننا حقا، الأدوية من كل نوع، وهم في الغالب مثقفون، وكثيرا يحدثوننا عن استقلال الجزائر ولكنهم لا يتلفظون أبدا بكلمة ضد فرنسا، ولكنهم يبغضون، فرنسيي الجزائر وجنود المظلات واللفيف الأجنبي) (عن المجاهد عدد 38 – 17/1959).

(2) وكيف لا وكم قتل الابن أباه، والأخ أخاه، والقريب قريبه من خيانة الوطن.

(3) ومن أعمالهم محاولة استمالة الشعب بمظاهر اللين والمراوغة وتوثيق العلاقات مع الأفراد الذين يعتقدون أن لهم تأثيرا على الرأي العام، واستعملوا أساليب متنوعة للخداع والتغرير والإغواء بالخيانة، ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا أمام يقظة الشعب ووعيه و تصميمه على التحرر والاستقلال

(4) لكن هل استجاب الفرنسيون لنداء جيش التحرير الوطني؟ وهل كان لهذه الأحاسيس النبيلة والمشاعر الإنسانية، التي تفيض بها الرسالة تأثير في نفوسهم؟

الجواب: طبعا لا. إن حرب الإبادة بوسائل مختلفة اتخذت طريقا تصاعديا مع التفنن في الوحشية والإجرام، فكانت المجازر الجماعية، والتقتيل بلا محاكمة، وتدمير القرى على أهلها والتعذيب الفظيع الذي لم يسبق له نظير، إلى جانب الحرب النفسية القذرة التي لا يمارسها إلا من فقد الإحساس بالكرامة...

تحية المجاهد[1]

سلام عليكم بين معاقل الجبال، وأعماق الوديان، وأحراش الغاب.

سلام عليكم بين دوي الرصاص، ورمي القنابل، وضجيج المعركة...

سلام عليكم كراما في المحيا وشهداء في الممات.

وبعد فأنتم عدة البلد، وذخر الوطن، وأمل الشعب.

أنتم سلاح اليوم الذي يهدم الطغيان، ويشيد للحرية صروحا ثابتة.

أنتم لسان الشعب الذي نطق في فصاحة، وعبر في بيان: كفانا استعمارا وعارا، نريد الحرية والاستقلال والكرامة.

أنتم الذين ينظر إليكم الشعب في أمل، ويتطلع إليكم في شوق، وقد وضع في وجودكم كل رجاء، متحملا ما ينصب عليه من نقمة وشدة وعذاب.

أنتم الذين يهتف باسمكم الشيخ الآمن عندما يجند له رصاص العدو غدرا وغيلة.

وأنتم الذين تنتظر النساء حضوركم عندما يهجم جنود الاستعمار على القرية الآمنة فيشرد الأهل، ويهدم الدور، ويخرب البنيان.

وأنتم الذين ينظر إليكم الوليد في ضراعة، طالبا في صمته الفصيح أو بكائه المعبر للانتقام للأبوين سقطا تحت أفواه البنادق الفرنسية الظالمة.

فماذا أعددتم لتكونوا أهلا لهذه المكانة التي صنعتها بطولتكم في قلوب الناس، ولهذه القيمة التي يحملها لكم الشعب، ولهذا الإعجاب الذي لكم في قلب كل أحد.

---

(1) تعكس التحية مكانة المجاهد في كل قلب، والأمل المنوط به في الحال والمستقبل. عن المقاومة الجزائرية لسان حال جبهة وجيش التحرير الوطني العدد 2 / 15 / 1956م.

إنكم جنود اليوم والغد، فينبغي أن تتبعوا دستور جيش التحرير حتى تقوموا بواجبكم على أكمل وجه، وتؤدوا دوركم على أتم ما يكون.

إنكم جنود، ودستور الجندي طاعة للقائد، واستماع للرائد، ونشاط للعمل، إنكم بناة مستقبل، وصانعوا جيل، فدستوركم تهديم لأكاذيب الحضارة، ودعايات الظلم، وأركان البغي، وتمتين لقيم الحق والخير والسلام.

تصريحات فرنسية

حول حربي الهند الصينية والجزائر

تمهيد:

عندما كانت الحرب الصينية يضطرم سعيرها، كان قادة فرنسا يصرحون في مختلف المناسبات أن النصر حليفهم وأن السلطات الفرنسية لا تفكر في التفاوض مع الوطنيين.

وحينما كانت حرب التحرير تدور رحاها في الجزائر عادوا إلى شنشنتهم فلم يغيروا شيئا من سياستهم، ورغم الهزيمة النكراء التي منوا بها في الهند الصينية، فإنهم كانوا يتبجحون بأقوال، ويتشدقون بتصريحات تشبه تلك الأقوال والتصريحات.

ورغم ما تقولوا، وتشدقوا، انتصرت الهند وانتصرت الجزائر، وأصبحت أقوالهم وتصريحاتهم تقرأ للاعتبار والاتعاظ، ويتندر بها في المجامع والمآلف.

تصريحات عن الهند الصينية:

إن فرنسا التي ستبقى بالهند الصينية، التي ستبقى داخل الاتحاد الفرنسي، هذا هو المبدأ الأساسي لسياستنا. «بولوير» 16 مايو 1947م.

إننا لا نقبل أن يقال بأن الحكومة تتبع سياسة حربية، إننا في الواقع نرمي إلى إقرار الأمن والهدوء، بالبلاد. «كوست فلوري» 11 مارس 1949م.

إني أعتقد أنه بعد عام سيرجع الأمن للبلاد «ألبير سارو» 5 أبريل 1951م.

لا بدور بخلدنا قط أن نغادر جزءا من أراضي الهند الصينية علانية، ولا على رؤوس أصابعنا «لوتورند» 13 نوفمبر 1950 م.

إنني أندهش عندما أسمع بعض الناس يتكلمون عن مفاوضات محتملة مع أعدائنا. «ماكس أندريه» 18 جانفي 1953 م.

سنربح المعركة، وبعد عام سنصل إلى النتيجة المرجوة. «جنرال نافار» 15 جويلية 1955.

إني أقول للاشتراكيين الذين يريدون أن نفتح مفاوضات مع «هوشي منه» بأننا لن نفعل ذلك أبدا لأن معنوية جيوشنا ستنهار عندئذ: «لوتورنو» 20 ديسمبر 1952 م.

بعدما تضع الحرب أوزارها ينبغي على الشعب أن يعرب عن رأيه بواسطة انتخابات حرة تجرى تحت مراقبة دولية أو تحت مراقبة الدول المحايدة: «لوتورنو» جانفي 1951 م.

عندما يرجع الهدوء إلى البلاد سيكون في الإمكان حينئذ النظر من جديد في المسائل السياسية: «موتي» 6 جانفي 1947 م.

تصريحات عن الجزائر:

إن الجزائر هي فرنسا، ذلك هو الدستور، وتلك هي إرادتنا: «ميتران وزير الداخلية» 5 نوفمبر 1954 م.

التفاوض الوحيد هو الحرب: «ميتران» 7 نوفمبر 1954 م.

يجب أن نطبق دستور 1947م، بالجزائر، ولا أقصد تطبيقه تطبيقا كاملا، ولكن تدريجيا: «منداس فرانس» 5 فيفري 1955م.

إن الجزائر جزء من فرنسا، ومعنى هذا أن فرنسا اختارت الإدماج: «سوستيل» 23 فيفري 1955م.

لئن كانت الوضعية تبدو في سنة 1955م منهارة فإننا نشاهد اليوم أن السكان قد رجعت إليهم الثقة، وقد أكد لي الجنرال «بلان» أنه مبتهج بسلوك جنودنا: «لاكوست» 15 ماي 1956م.

من الممكن أن نتحصل في بضعة أشهر وفي بعض الجهات على التهدئة أي على انضمام جماعي لسكان جهات كاملة: «لاكوست» 29 ماي 1956م.

لقد تحصلنا على نتائج مدهشة في الشرق القسنطيني، حيث توقف نشاط الفرق المسلحة ولا توجد إلا بعض أعمال الإرهاب الفردية: «ماكس لوجون» 8 / 6 / 1956م.

إننا عندما نتأمل في الوضعية العامة بالجزائر نجدها قد تحسنت تحسنا ملحوظا وقد صار الثوار هم الذين يشعرون بالفشل والهزيمة، وقد دلّت الوثائق التي أخذناها وتصريحات المساجين على أن قادة الثورة قد أحسوا بخيبتهم». «لاكوست» 12 / 8 / 1956م.

لقد حققنا أهدافنا، فالكادرياج قد أتى ثماره، وقد تحسنت الوضعية في الجزائر تحسنا ملحوظا وخصوصا في شرقي عمالة قسنطينة، وفي وادي الصومام، وفي القبائل الصغرى والكبرى، وفي قسم من ولاية وهران، وقد بلغ عدد القرى التي انضمت إلينا أربعمائة قرية، وأن التهدئة تتحقق شيئا فشيئا حسب البرنامج الذي سطرناه، بل إنها ستتم قبل الأجل المضروب، وقد اعترف قادة جبهة التحرير الذين اجتمعوا بالجزائر يوم 25 و 27 بأن الجيش الفرنسي هو سيد الموقف، وقد دلّت عبارة قادة جبهة التحرير على أنهم يحسون بملل كبير: «ماكس لوجون» 15/ 09 / 1956 م.

البوادي: «ماكس لوجون»

إن التهدئة تسير بخطى حثيثة في البوادي: «ماكس لوجون» 20 / 09 / 1956م.

ستحصل في أواخر أكتوبر على نتائج هامة لها دلالتها الكبيرة جدا، فمطالب الانضمام تتوالى وتتكاثر يوما فيوما، وقد بدأ المسلمون يرفضون أوامر قادتهم، كما أن الفرق المسلحة لم تعد تخفي مللها وتعبها، بل إن بعض الثوار قد فضلوا العودة إلى منازلهم، أما قادة الثورة فهم حائرون جدا: «لاكوست» 28 / 09 / 1956م.

إننا في ربع الساعة الأخير، لهذا يجب أن لا نتسرع باقتراح الإصلاحات السياسية. «لاكوست» 20 / 11 / 1956م.

لقد صارت التهدئة الآن شيئا مضمونا، فلا يوجد أحد يعتقد في انتصار الثوار، ونستطيع أن نؤكد أن العمليات العسكرية ستتوقف عما قريب: «غي موللي» 25 / 11 / 1956م.

إن سنة 1957م، ستشاهد حل المشكل الجزائري بفضل إرادة فرنسا: «لاكوست» 31 / 12 / 1956م.

إن الثوار يحاولون إعادة نظامهم العسكري لكنهم فاتهم الأوان، إن فرقنا تهزم الثوار في جميع المعارك، وتفوق الجيش الفرنسي يزداد كل يوم: «لاكوست» 12 / 12 / 1956م.

إن القانون الإطاري يشتمل على ثلاث التزامات: الأول، ليس في استطاعة أي شخص ولا أي شيء أن يفصل الجزائر عن فرنسا، والتفاوض لا يمكن إلا مع الممثلين الأكفاء، ولا يمكن أن نعد الإرهابيين ومرتكبي المجازر ممثلين للسكان: «بورجيس مونري» 02 / 11 / 1956م.

«إن الجماهير المسلمة صارت تنفصل كل يوم أكثر فأكثر عن الثورة لتقترب منا بفضل عمل التهدئة الذي تقوم به فرقنا، وقد أعرب

المسلمون في جهات متعددة عن إرادتهم ورغبتهم في أن يساهموا في محاربة الثوار بالأسلحة، وبنقل الأخبار وأن الوثائق العديدة التي غنمناها تدل على أن قادة الثورة يشعرون باضطراب عميق، ويعترفون بأن السكان لم يعودوا ينفذون أوامرهم» (الجنرال سالان) في يوم 1957/09/03م. من بلاغ طويل.

إن الجزائر جزء من الجمهورية الفرنسية التي لا تتجزأ، وعمالاتها مجموعة في أقاليم مرتبطة فيما بينها برباط فيدرالي، وتسير شؤونها الخاصة بكل حرية وديمقراطية.

عن الفصل الأول من القانون الإطاري الذي صادق عليه المجلس الوطني الفرنسي في 1957/11/30م.

إن فرنسا هنا وهي مقيمة بالجزائر إلى الأبد: (ديقول) في وهران يوم 1958/06/06م.

إن الجزائر أرض فرنسية اليوم وإلى الأبد: (ديقول) في وهران يوم 1958/06/07م.

تحيا الجزائر فرنسية: (ديقول) في مستغانم يوم 1958/06/08م.

إن الحرب قد انتهت عمليا بالجزائر: (الماريشال جوان) نوفمبر 1958م.

لقد طويت صفحة المعارك: (ديقول) في تقرت ديسمبر 1958.

إن التهدئة على الأبواب: (ديقول) أوت 1959م.

تلك -قارئي الكريم- طائفة من تصريحات القادة الفرنسيين السياسيين والعسكريين، وهي قليلة جدا بالنسبة إلى كل التصريحات التي لم يفتأوا يصرّحون بها حتى انتهت الثورة، وانفلتت الجزائر من أيديهم، وهي كلها متشابهة:

ادعاءات، ومزاعم وهراء، أقل ما يقال عن أصحابها أنهم عجزوا أمام الثورة الزاحفة، وأعياهم الانتصار على هؤلاء الأبطال المتفرقين على شعاف الجبال، ومخارم الأودية، ومكامن الطرق، فاتخذوا الكذب والوهم والادعاء سلاحا لا للغلبة والانتصار، ولكن للتسلية والتفاؤل ورفع المعنويات.

ولعل من أبرز ما يلاحظ في تصريحات المسؤولين الفرنسيين أن هناك فرقا بين تصريحاتهم في أوائل الثورة وتصريحاتهم عندما سلخت من عمرها سنتين أو أكثر، فهم في تصريحاتهم الأولى الأولى كانوا يؤكدون بأن الثورة قد ضعفت، وأن نهايتها قريبة، وأما في تصريحاتهم الأخيرة فلم تعد لهم الجرأة الكافية على الادعاء بأنهم سينتصرون على الثورة، بل كانوا يكتفون بالقول بأن الجزائريين قد أصابهم الملل، ولكن كل تصريحاتهم كانت تتسم بطابع واحد، هو الكذب، والتضليل، والمغالطة والتزوير...

موقف الجبهة والجيش من هذه التصريحات

«أما قيادة الشعب الجزائري وجنود جيش التحرير الوطني، فقد كانوا يقابلون تلك التصريحات بالاحتقار والسخرية، فلم يكونوا يثيرون صخبا ولا ضجيجا وإنما كانوا يعملون في صمت ويجاهدون في سكوت، لاعتقادهم الجازم بأنهم المنتصرون، طال الزمان أو قصر...

إن تصريحات القادة الفرنسيين تحمل في نفسها الدليل على أنهم كانوا دائما في حاجة إلى أن يدفعوا بشعبهم إلى الحرب، وعلى أنهم كانوا دائما خائفين على معنويات جنودهم، فهم يغذونها في كل مرة بوقود جديد من تصريحات ويلهبونها في كل حين بسياط جديد من تفاؤلات لا تلبث أن تذهب أدراج الرياح، وتنمحي كالزبد..

أما مناضلو جبهة التحرير، أما جنود جيش التحرير الوطني، أما الشعب الجزائري فلم تكن بهم حاجة إلى تصريحات قادتهم لكي يؤدوا الواجب، ويواصلوا الزحف لأنهم جميعا يعتقدون أن الاستقلال ضرورة حيوية ملحة تحتمها الكرامة ويحتمها الحق الطبيعي، ولأن يبقى الشعب الجزائري اثنى عشر مليونا من الجثث خير من أن يبقى تحت الاستعمار الفرنسي[1].

وهذا المبدأ، وهذه العقيدة، جعلتهم يواصلون جهادهم بلا هوادة دون أن يحتاجوا إلى تصريح قائد أو زعيم، واستطاعوا أن يزرعوا ببنادقهم الهلع والرعب في صفوف الجيش الفرنسي الجرار رغم الطائرات والمصفحات والنبالم...

جيشنا وجيشهم

وإذا كانت هناك فروق بين الجيشين الوطني والفرنسي، فأبرزها في نظري أن الجيش الوطني كان يواصل المعارك وهو مبتهج لأنه كان على موعد مع الاستقلال الذي حرم منه قرنا وثلث قرن، وهذا الابتهاج الدائم جعله يقدم، ويضحي، ويجوع وهو رضي النفس، دائم العزم والتصميم، أما الجيش الفرنسي فإنه رغم عدده الهائل، وعتاده الحربي الضخم، مزعزع النفس على الدوام، يمارس الحرب مكرها مغتما، لأنه يعلم أن الحرب ليست لفائدته، وأنها سائرة بفرنسا إلى الخسران والانهيار الحتمي.

---

(1) مما جاء في إحدى خطب رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية السيد فرحات عباس: نفضل أن نكون 10 ملايين من الجثث على أن نكون 10 ملايين من الفرنسيين.

فمنذ اندلاع الثورة 1954م، إلى سنة 1957م ارتفعت نفقات فرنسا العسكرية بمبلغ 616 مليارا في كل عام، ودع عنك القتلى من الجيش كل يوم، ومعنى هذا أن قادة فرنسا كانوا منهمكين في بذل الأموال الطائلة، والدفع بالجيش إلى الموت في سبيل حرب محكوم عليها مسبقا بالهزيمة، ولذا كان الجيش الفرنسي يواجه المعارك بنفس قلقة مهزوزة، مما جعله يتكبد الخسائر الفادحة أمام جيش التحرير، وينتقم بعدها بعمليات الإبادة السافرة، ودك القرى الآمنة بالقنابل والمدافع، وإحراق الغابات الواسعة.

ثورة نوفمبر الخالدة:
اندلاعها، وثباتها في وعدها

اندلعت ثورة التحرير الجزائرية أول نوفمبر سنة 1954م، بعد انتظار طويل، وتلهف شديد، وملل ماحق من الوضع المتعفن الموبوء، الذي كان يعيشه الشعب الجزائري تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي وظلمه الرهيب منذ 1830[1].

وما أن انطلقت شرارة الثورة[2] حتى تنفس الشعب الصعداء، وأحسّ كأنه كان ذرات مبعثرة مبددة هنا وهناك، فتحول فجأة إلى بذور تحمل الحياة وتتفتح في وجه العصفة، كان هاتفا يهتف من الأعماق ويهيب به أن:

تجمع وراء طلائعك الثورية الذين خرجوا بك من الركود والخمود، ومن الخوف والتردد، وخض لهيب المعركة قويا ثابتا، ولا تخف فالسيول العارمة التي تجمعت من عرق أبطالك، ودماء شهدائك منذ الاحتلال البغيض، هي التي تحولت في النهاية إلى هذا التيار الجارف العاصف الذي سيكتسح العدو مهما كانت قوته ورعونته، ولست أنت -أيها الشعب- إلا قوة من وراء هذا السيل تخطط له، وتدفع به، وتوجهه، حتى

---

(1) ظل الشعب الجزائري منذ أن مني بالاحتلال يحاول هدم النظام الاستعماري وإعادة كرامته التي ضاعت واستقلاله الذي ذهب فلم يستسلم يوما للعدو البغيض وقد أصاب (البارون لاكني) في قوله يخاطب الفرنسيين سنة 1830:

«إنكم ستكونون في حرب دائمة مع إفريقيا ما دمتم محتفظين بالجزائر، نعم سيبدو لكم في بعض الأحيان أن هذه الحرب قد توقفت ولكن ذلك لن يغير من عواطف البغض والكراهية التي حملها لكم الشعب الجزائري».

(2) اندلعت في ثمان وثلاثين نقطة من الوطن الجزائري من الحدود الغربية الجزائرية، إلى حدودها الشرقية، وعدد أفراد الطليعة الثورية حوالي (3000) ثلاثة آلاف وطني.

يطهر الأرض من رواسب الاستعمار وفضلاته، ويمسح الطبيعة استعدادا لعودة الربيع في ضوء الفجر الجديد.

ومنذ ذلك اليوم التاريخي الخالد، أحس الشعب الجزائري أنه قد وضع رحليه لأول مرة منذ 1830 في الطريق القويم الذي سينتهي به إلى مبتغاه، رغم ما يواجهه فيه من أخطار، وما يكلفه من تضحيات[1].

والعوامل والأسباب التي جعلت الشعب الجزائري يبتهج باندلاع ثورته، وتجيش نفسه الأبية بالحمية لنفسه، وبالغضب على عدوه، ويلتف حولها ويحتضنها ويصمم على مناصرتها حتى الموت أو الاستقلال - هي هذه:

أولا: الأصالة والخصائص الطبيعية التي تأبى للشعب الجزائري الفناء أو الذوبان في أمة، أو الاندماج في مجموعة بشرية.

ثانيا: الكفاح الطويل الشاق الذي خاضه الأجداد منذ الاحتلال الفرنسي والتضحيات الكبيرة التي بذلوها في سخاء دون أن يحققوا الهدف المطلوب لخلو محاولاتهم من روح التنظيم الدقيق ولأنها أيضا وليدة ظروف الوقت[2].

---

(1) واجهت الحكومة الفرنسية حوادث أول نوفمبر بحشد القوى، وإرهاب السكان، وعمرت أودية الصحف المختلفة بتصريحات المسؤولين الفرنسيين التي اتسمت بطابع التفاؤل والتحقق من فشل «أعمال إرهابية قامت بها شرذمة من المجرمين لا صلة لها بأغلبية الشعب المخلصة والموالية لفرنسا».

(2) وفيما يلي قائمة بعض الثورات التي شنها الشعب الجزائري على الاستعمار الفرنسي منذ الاحتلال المشؤوم:

- ثورة الأمير عبد القادر: 1830 - 1857.
- ثورة بومعزة في جبال الظهرة 1845 - 1847.
- ثورة محمد بن عبد الله من واحات الجنوب: 1852 - 1854.
- ثورة سيدي سليمان الذي واصل القتال خلال عشرين عاما.
- ثورة بوبغلة في بلاد القبائل: 1851 - 1854.
- ثورة لالا فاطمة نسومر في جبال جرجرة: 1857.
- ثورة بني يزناسن في الحدود المغربية: 1859.
- ثورة أولاد سيدي الشيخ في التل والصحراء: 1863.
- ثورة المقراني وابن الحداد: 1871.
- ثورة جبال أوراس: 1916.

ثالثا: وحشية الجيش الفرنسي التي تعرض لها هذا الشعب عند الاحتلال وصور التعذيب الفظيع التي ينقشها الآباء في الأبناء ويتشاون عليها ويموتون.

رابعا: ما ابتلاه به الاستعمار الأهوج من سلب الاستقلال، وسوء الاستغلال، وفساد التعليم، ومسخ العقيدة، ونسخ اللغة، إلى حد أن الجزائري يعد في عرف الاستعماريين عبدا لا يصلح لأي تطور، ولا لحياة ذاتية، وإنما يصلح فقط خادما يسقي الأرض بعرقه، ثم لا يكون له منها سوى الفضلات التي تعافها كلاب المستعمرين.

خامسا: المرارة التي كانت تعتصر الشعب الجزائري من أجل انقسام الأحزاب السياسية وتناحرها في الوقت الذي كان الشعبان الشقيقان: تونس والمغرب يقودان كفاحهما المسلح ضد الاستعمار الفرنسي.

هذه العوامل والأسباب مجتمعة هي التي جعلت الشعب الجزائري لا يطمح إلا إلى إعلان الثورة، وما كادت تندلع فعلا ويتأكد الشعب من صحة عزمها حتى بادر إليها وأخذ يغذيها بكل ما يملك من حماس وتضحية وجهد[1].

الثورة تزحف رغم كل شيء:

وانطلقت الثورة ماردة عملاقة تزداد كل يوم التهابا وانتشارا، وفي مقابل ذلك كانت فرنسا تحشد القوى والعتاد، وتستغل السمعة التي

---

(1) ولكن الشعب رغم إرادته وحماسته وبغضه للاستعمار لا يستطيع وحده أن يعمل عملا له أثره وإيجابياته ما لم يكن هناك موجه حكيم يسدد الخطى، ويرشد للعمل، وذلك كان دور جبهة التحرير الوطني التي كانت مثار التقدير والإعجاب بتنظيماتها الثورية الرائعة على اختلاف فروعها وأشكالها ونظمها

أحرزت عليها كدولة متحررة ذات ماض بين الدول، كما كانت تستغل إرسالياتها الثقافية والعلمية والاقتصادية والعسكرية لنشر دعاياتها التشويهية ضد الثورة التحريرية.

وكانت تقول أنها حركة عنصرية، أو دينية أو دخيلة على الشعب الجزائري، أو حركة تمرد تقوم بها جماعة من الخارجين عن القانون، لا يقودهم في عملهم هدف واضح أو غرض شريف[1].

ولم تكتف فرنسا بهذا كله فسطرت مختلف وزاراتها برنامجا كاملا للقيام بدعاية واسعة كبرى في العالم ضد الثورة الجزائرية وجندت جميع الجهود للقيام بهذا العمل الضخم، ولو لم تكن المغنية الفرنسية (ميسنا نغيت) قد ماتت آنذاك لجندت هي الأخرى لتدافع عن الجزائر الفرنسية بهذه الدعاية الواهمة.

ورأى قادة الثورة أن يقودوا في الخارج صراعا ضد هذه الحرب النفسية القائمة على التشويه، والتضليل، والمغالطة، فجندوا رجالا لهم كفاءتهم وخبرتهم للقيام بجولات في العالم لرفع الستار عن الوجه الحقيقي لثورة الجزائر، وتفنيد الأكاذيب الاستعمارية التي تشاع هنا وهناك، فتعين الدكتور الأمين دباغين، ومحمد بن يحيى للجولة في أقطار آسيا، وفرحات عباس وآيت حسين للجولة في بلدان أمريكا

---

(1) حاول الفرنسيون عند اندلاع الثورة أن يقابلوها بالاستخفاف والاحتقار، إذ زعموا أنها مغامرة بسيطة أقدم عليها قلة من قطاع الطرق، ولما شاهدوا الثورة تتفاقم ويتسع لهيبها اتجهوا بتأويلاتهم إلى الحالة الاجتماعية والاقتصادية، التي كانت عليها الجزائر، وهدفهم من هذا إقناع الخارج وخاصة الرأي العام في مستعمراتهم الإفريقية الأخرى بأن الثورة الجزائرية ليست لها أسباب سياسية، وبأنها خالية من الفكرة الوطنية. لأن أكثر ما يخشاه الساسة الفرنسيون هو تسرب العدوى الثورية إلى تلك المستعمرات.

اللاتينية، وأحمد فرانسيس وعبد الرحمن كيوان للجولة في أقطار الشمال الأوروبي[1].

بالإضافة إلى البعثات الديبلوماسية التي كانت تفتح المكاتب في العالم العربي والأجنبي للتعريف بثورة الجزائر[2].

وكان لهذه المكاتب دورها الكبير في دعم الثورة ماديا وأدبيا، فكانت هذه المكاتب مراكز لجمع التبرعات والدعاية للثورة[3].

وكان العدو يعتقد أن قادة الثورة لا يستطيعون أن يسمعوا العالم صوت كفاحهم التحريري، ويقنعوه بعدالة قضيتهم، ويكتسبوا عطفه وتأييده، لأن هذا يحتاج إلى الكفاءات السياسية، والتمرس على الديبلوماسية، وتنسيق العمل تنسيقا محكما دقيقا. وغاب عنهم أن ثلاثين ومائة سنة من النضال المرير، قد صهرت هذا الشعب، وطبعته بطابع التفكير السديد، والنظر البعيد، والخطوة الثابتة في تعقل وروية[4].

---

(1) بقي على قيد الحياة من هؤلاء اثنان: آيت حسين، وعبد الرحمن كيوان، أمدَّ الله في حياتهما. ورحم الله الذين لبوا نداء ربهم بعد أن لبوا نداء وطنهم.

(2) لم نعرف بلدا في الشرق أو الغرب أو في الجنوب أو الشمال من المعمورة لم تصل إليه وفود جبهة التحرير، أو لم يكن فيه إدارة أو مكتب حتى في فرنسا نفسها.

(3) من المواقف الرائعة التي ستظل خالدة في تاريخ ثورتنا ذلك الموقف البطولي الشهم الذي وقفه الأحرار الفرنسيون وعلى رأسهم الأديب الفيلسوف (فرنسيس جونسون) ضد الاستعماريين، فلم يكتفوا بالمعارضة والاستنكار في الصحف والمجلات، فتعاونوا مع جبهة التحرير وتمكنوا من إخراج (400) مليون فرنك من فرنسا لفائدة الثورة، وقد تواصل هذا العمل زهاء ثلاث سنوات.

(4) قال صحافي أمريكي كبير:
«ولقد تحدثت مع كثيرين من رجالات الدول في العالم ولا يحرجني أن أعترف بأنكم – يتحدث مع بعض قادة الثورة – من أقوى الشخصيات السياسية التي تحدثت معها» (المجاهد عدد 31 بتاريخ 1958/11/31).

ولذا اندهش العدو للانتصار السياسي الذي سجلته الثورة بجانب الانتصار العسكري، إذ بقدر ما تغلغلت النفسية الثورية في طبقات الشعب جميعها وتبلورت الفكرة الثورية عند العالم- تمكنت العمليات العسكرية التي يقوم بها جيش التحرير الوطني في مختلف نواحي البلاد[1].

وأمام هذا الوضع لم يسع العدو إلا أن يضاعف جهده في الميدانين العسكري والسياسي، ويواصل بجانب ذلك طريقة المغالطة والتزوير التي جعلها عدته وسلاحه الأول، فقوى جهازه العسكري، وجند الشباب الفرنسي، ووافق على ضرائب جديدة ونظم مصالحه البوليسية، ووقف صحافته وإذاعته وتلفزته لخدمة الدعاية الاستعمارية التي - وإن فشلت في ادعائها أن الحركة لا تعدو أن تكون تمرد جماعة من الخارجين عن القانون- فإنها لا تفشل في دعواها «أن الجزائر فرنسية»[2].

وتلقت السفارات الفرنسية في مختلف أنحاء العالم، التعاليم الجديدة، وراح الوزراء وأعضاء البرلمان ينتقلون في أرجاء الأرض من عاصمة إلى عاصمة يصيحون: «إن الجزائر هي فرنسا وأن كل من يعارض أو يشك في ذلك يكون قد نال من سيادة فرنسا».

* ثم عمدت فرنسا إلى الدول الأوروبية الست، فحاولت أن تقنعها بأن الجزائر بخيراتها ميدان هام للنشاط والاستغلال الأوروبي المشترك،

---

(1) وحققت الثورة هدفين هامين: أولهما يأس المسؤولين الفرنسيين من حل القضية الجزائرية حلا عسكريا، وثانيهما لفت نظر الرأي العام العالمي وإقناعه بأن الثورة الجزائرية ثورة أمة متكتلة واعية، صادقة العزم على استرجاع سيادتها.

(2) عندما اندلعت الثورة في فاتح نوفمبر 1954م، كا (الم. منديس فرانس) هو الذي يترأس الحكومة الفرنسية، وكان (الم. فرانسوا متران) يحتل فيها منصب وزارة الداخلية، وكان يصرح أمام المجلس الوطني: «إن الجزائر هي فرنسا، إن الأراضي الممتدة من حدود فرنسا الشمالية إلى إقليم (الكونغو) جنوب خط الإستواء تخضع كلها لقانون واحد، ولبرلمان واحد، وتشكل أمة واحدة. ذلك هو دستورنا وتلك هي إرادتنا.. إن المفاوضة الوحيدة هي الحرب».

الذي هو بصدد التكوين إذ ذاك، وتوجهت فرنسا أيضا إلى أمريكا وإلى أعضاء حلف الأطلسي فزعمت لها أن الثورة تقودها موسكو بواسطة القاهرة، وفي نفس الوقت يذهب (قي مولي) و(بينو) بأنفسهما إلى موسكو فيؤكدان أن ذهاب فرنسا من الجزائر معناه انتشار النفوذ الأمريكي فيها[1].

وبينما كانت فرنسا تقوم بهذه الحملة الواسعة الضخمة كانت الثورة التحريرية بقيادة جبهة التحرير، وجيش التحرير ترحف بخطوات واسعة، وتثبت للرأي العام العالمي أنها ثورة منظمة واعية، ستكون لها مكانتها مستقبلا بين الثورات الحضارية الكبيرة في تاريخ الإنسانية، بفضل ما تحقق من تغيير جذري في هذا الجزء من العالم، وما سينجر عن ذلك من تغيرات وإصلاحات في الشمال الإفريقي[2].

واستطاعت وفود جبهة التحرير الوطني التي تجوب العالم وتحضر المؤتمرات والاجتماعات الأممية والندوات الصحفية إذ ذاك أن توضح طبيعة الثورة الجزائرية، وشرعيتها، وهدفها وعمقها، وتكتسب تأييدا وعطفا وعناية، وتجعل الجزائر محط أنظار العالم، ومثار إعجابهم وتقديرهم[3].

وحتى في أوروبا والبلدان التي اشتهرت بولائها لفرنسا قام مندوبو جبهة التحرير بنشاط كان له أثره وبعده في معارضة الدعاية الفرنسية المغرضة «حتى اضطرت وزارة الخارجية الفرنسية إلى أن تغير من حين

---

(1) من مناوراتهم الشيطانية زعمهم أن مصر تموّن الثوار الجزائريين، وألقوا القبض على سفينة (أتوسي) التي قالت عنها بعض الصحف الفرنسية نفسهات بأنه لا يستبعد أن السلطات البوليسية الفرنسية هي التي شحنتها في بعض الموانئ الأوروبية.

(2) كانت الجزائر من الأبواب الرئيسية الأولى التي دخل منها الاستعمار الأوروبي إلى إفريقيا وآسيا، ثم كانت مقبرة الاستعمار في إفريقيا ومطلع شمس حريتهما.

(3) حتى بلغ عدد الكتب التي ألفت عن الجزائر وثورتها التحريرية باللغات الأجنبية فقط منذ اندلاعها إلى إعلان الاستقلال خمسمائة كتاب. أما ما كُتب عنها من قصص وروايات ومسرحيات وأفلام فشيء فوق العد والحصر

لآخر سلكها الدبلوماسي، فتعززه برجال جدد لعله يستطيع أن يقف في وجه تيار جبهة التحرير الوطني حتى أن ميزانية الخارجية الفرنسية قد زادت في ظرف ثلاث سنوات بخمسين مليارا من الفرنكات[1].

أدرك المسؤولون الفرنسيون خطورة الثورة الجزائرية، وتصميم شعبها على أن لا يلقي السلاح أبدا من يده حتى يفتك حريته واستقلاله، لا سيما بعد أن تحمل تضحيات جسيمة لا تقدر في سبيل الحرية.

ولكن الفرنسيين مع اعتقادهم بأن الشعب الجزائري لن يرجع عن عزمه أبى عليهم تعنتهم وتعصبهم الأعمى ورعونتهم الهوجاء إلا أن يواصلوا حربهم القذرة وكان موقفهم الرسمي الصريح هو ما عبّر عنه وزير الداخلية آنذاك (الم. متران) بكلمته المعروفة التي صارت أغنية المستعمرين الفرنسيين: «إن المفاوضة الوحيدة بالجزائر هي الحرب».

---

(1) المقاومة الجزائرية العدد 19 – 15 جويلية 1957م.

حرب المؤامرات والتضليل

فبالإضافة إلى المقاومة العسكرية الوحشية التي تحطم الديار، وتبطش بالأهالي الآمنين، وتأكل الأرض وما عليها من زرع وشجر وعمران، كانت هناك مقاومة نفسية واسعة، أبرز معالمها المغالطة والتضليل، ولدت مع ولادة الثورة في غرة نوفمبر 1954م، ثم تطورت وتنوعت، فأصبحت فنًا برع فيه الفرنسيون ونبغوا وتفوّقوا.

لقد عجزوا عن إقناع الرأي العام العالمي بأن «الجزائر فرنسية» وبأن ذهاب فرنسا عن الجزائر معناه انتشار النفوذ الأمريكي «وبأن الثورة ليست إلا حركة تمردية محدودة» و«بأن الثورة تقودها موسكو بواسطة القاهرة».

عجزوا عن ذلك بهذه الأنماط التضليلية فاتجهوا بمصالحهم النفسية الأخرى إلى الشعب يشككونه في ثورته وقادتها ويزرعون فيه اليأس من النصر، ويحاولون إثارة البلبلة والفوضى في صفوفه، ويتصرفون تصرفات طائشة حمقى علّهم يعرقلون حركة الثورة.

وكانوا لا يتورعون أبدا عن تحويل الخيانة إلى فضيلة، والأكاذيب إلى مبادئ سياسية[1].

وهذه الحرب القذرة السافلة التي تعتمد على الخيانة، والمؤامرات، والخداع، ظلّت سلاح المسؤولين الفرنسيين بجانب السلاح العسكري المدمّر إلى أن انتهت الثورة بانتصار الجزائر وإعادة استقلالها، ولذا فليس

---

(1) كانوا يدمّرون، ويخرّبون، ويقتلون، ويعذّبون، ويكذبون، وفرنسا تدّعي أنها تقوم في الجزائر بنشر السلام وإعادة الطمأنينة إلى القلوب.

مما يتسع له المقام أن نتقصى أحداث هذا النوع من الحرب، وصوره المختلفة، وإنما يكفي أن نذكر بعضها لنسجل:

أولا: أن فرنسا إنما عمدت إلى المؤامرات والمكائد عندما عجزت عن مواجهة أبطال الجزائر في ساحات القتال بصدور أبنائها.

ثانيا: أن الإدارة الاستعمارية كانت لا تتورع عن اقتراف أعمال مخزية للغاية ثم تباركها الدولة الفرنسية وتراها من ضروريات الحرب.

ثالثا: ما يتمتع به الشعب الجزائري من تلاحم صفوفه، والتفاف طبقاته حول قادته، والنضج السياسي الذي جعله يدرك بسهولة مناورات المستعمرين وخدعهم.

فحينما ظهرت حركة رفض التجنيد في الحرب الجزائرية سنة 1955م والاحتجاج الصارم على أساليبها لما عرفه الجيش الفرنسي من الهزائم النكراء التي كان يمنى بها أمام جيش التحرير، ولإدراكه أيضا لطبيعة هذه الحرب التي لا يمكن أن ينتصر فيها -حاول المسؤولون الفرنسيون وخاصة الإطارات العسكرية العليا أن تضلل الجيش وتخادعه، فأوهمته في حملة دعائية واسعة، أن حربه في الجزائر تستند إلى أساس شرعي عادل هو «الدفاع عن القيم الحضارية» وأن الجيش بإمكانه أن ينتصر لولا جهاز الحكم الفاسد في باريس، الذي يعرقل كل خطة عسكرية محكمة، ويحول دون تنفيذها، ويبخل على قادة الجزائر بكل ما يطلبون من عون وميزانية.

وواصلوا الحرب لا طمعا في الانتصار عسكريا على الثورة، ولا دفاعا عن (القيم الحضارية) بالجزائر، ولكن تجنبا للهزيمة السياسية التي تتمثل حسب نظرهم في التفاوض مع جبهة التحرير الوطني، لأن

الهزائم العسكرية يمكن إخفاؤها على الرأي العام الفرنسي والعالم، أما الحل السياسي فلا يمكن إخفاؤه[1].

وكان المسؤولون الفرنسيون لا يخشون من ارتكاب مخالفات قانونية ومن أن يدوسوا دستورهم جهارا وأمام كل واحد، وهكذا لم يترددوا في اختطاف الطائرة المقلة للمناضلين الخمسة بعد أن وعدت حكومة «غي مولي» سلطان المغرب، المرحوم محمد الخامس، والرئيس بورقيبة بأنها سوف تسهّل على قادة قطري شمال إفريقيا الاتصال بقادة الثورة الجزائرية[2].

وهذه الحادثة في الواقع لها بعدها في الناحية الأخلاقية الفرنسية، ولها دلالتها الكبيرة، على الاستخفاف بدولتين مستقلتين وضعتا في فرنسا ثقتهما، كما أن لها دلالتها في ذلك الحين على أن فرنسا غير راغبة في تسوية القضية الجزائرية عن طريق التفاوض[3].

ولكن فرنسا لم تعر لذلك أي اهتمام بل حسبت قرصنتها (مهارة) و(ذكاء) ومقدرة على (الإبداع) في ميدان الحرب[4].

---

(1) ومنذ سنة 1958م لم تعد للمسؤولين الفرنسيين الجرأة الكافية على الادعاء بأنهم سينتصرون على الثورة، فصاروا يكتفون بالقول بأن الجزائريين قد أصابهم الملل. وكبر عليهم أن يعترفوا بأن (عبيدهم بالأمس) قد هزموهم، وسفهوا تصريحاتهم. ولذا كان التفاوض في نظرهم هو الدمار الماحق والعار الذي لا يمحى

(2) في 20 أكتوبر 1956م استقبل السلطان محمد الخامس المناضلين الجزائريين في قصره بالرباط وفي 22 أكتوبر أمر (لاكوست) باختطاف الطائرة المغربية وفي 23 أكتوبر أعلن (غي مولي) بأنه مهما حدث فإن فرنسا ستظل موجودة في الجزائر.

(3) وقد صرح (روز نفيلد) إثر حادثة الاختطاف: إن الحكومة الفرنسية ليست راغبة في تسوية القضية الجزائرية عن طريق التفاوض لأن الذين كانوا سيفاوضونها أمام مائدة سياسية أصبحوا الآن جالسين فوق كراسي الاتهام أمام مائدة التحقيق البوليسي.

(4) عرفت الجبهة بعد هذه الحادثة ما هي القيمة التي تعلق على كلمة (شرف) عند ما تصدر من فرنسا، وهذا مكسب لا يقدر بثمن.

أما موقف جبهة التحرير الوطني من هذا التصرف الصبياني الطائش، فيتحلى في بيانها التاريخي الذي أصدرته بعد الحادثة بقليل والذي منه هذه الفقرة: «إن رجال الاستعمار الفرنسي ليسوا استعماريين فحسب، بل هم جبناء أيضا. إن كل تاريخهم في المغرب العربي قد نسج من خيوط الكذب، والخيانة، وإخلاف الوعد، بصورة علنية صارخة، لم يمثل أبدا في نظرهم عارا يخجلون منه، وهكذا فإن الغدر بقادة جبهة التحرير الوطني الخمسة ليس شرفا لفرنسا، إن هذا (الانتصار) الفرنسي لهو ثمرة الخيانة لا أكثر ولا أقل».

ولم يكتف المسؤولون الفرنسيون بهذه الفعلة الخسيسة الشنعاء، بل راحوا ينسبون إلى هؤلاء المختطفين تصريحات تتنافى وروح الثورة، وتخالف منهاجية التحرير، مما اضطرهم إلى إصدار بلاغ يفند مفترياتهم، ويحبط مناوراتهم جاء فيه:

«علمنا بواسطة الصحف التي خولت لنا مطالعتها أخيرا أن بعض الجرائد رددت تصريحات بعض الساسة الفرنسيين، ينسبون إلينا فيها أقاويل مخالفة لروح جبهة التحرير الوطني أو تمس بالمثل الوطنية التي تخالج الشعب الجزائري المكافح في سبيل استقلاله القومي.

إننا نؤكد بإلحاح أن مثل هذه التصريحات التي تنم عن أخبإ أساليب بوليسية لم ينطق بها منا أحد قط، أما المزاعم المتعلقة بوثائق نظام جبهة التحرير الوطني فما هي إلا مخترعات خيالية من التي تلفقها المصالح النفسانية الفرنسية، وأن هناك وثيقة تريد إشاعتها فهي الرسالة المشتركة التي وجهناها إلى (الم. غي مولي) والتي امتنع عن إظهارها[1].

---

(1) عن (المقاومة الجزائرية) العدد 6 / 28 جانفي 1957م.

ومن المناورات السخيفة التي حاول بها المسؤولون الفرنسيون تضليل الشعب الجزائري وبث البلبلة في صفوفه أيام الاضراب العام، إصدار بلاغ باسم جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني هذا نصه:

«يا إخواننا المسلمين..

ردوا بالكم حاذروا نفوسكم، المستعمرين يحبوا يغلطوكم، ردوا بالكم مثل وهران وبجاية الحكومة تحاول وتخدم باش تبطلوا الخدمة، وتعملوا لقريف، هذا شيء غير باش يكتشفونا ويقبضونا يضربونا بضربة قاسية قطيعة.

اليوم نهار 27 جانفي لا تتبعوا هذا الأمر المكذوب، إن يومنا لا زال لم يحل وقته، حاذروا نفوسكم من الناس اللي يدزوكم إلى الغلط، ثقوا بنا نعلموكم في الوقت اللازم، تحيا الجزائر حرة مستقلة».

ولكن رغم هذه السخافات اللاكوستية التي تضلل أصحاب الحوانيت حتى يفتحوها فقد نجح الإضراب الأسبوعي نجاحا باهرا، وحقق الأهداف التي استهدفتها جبهة التحرير الوطني بتشريع هذا الإضراب.

وبكل وقاحة تحدث الوزير الفرنسي للخارجية (الم. بينو) أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1957م، في حديثه الطويل عن القضية الجزائرية وادعى ادعاءات سافرة مخجلة دون أن يقرأ أي حساب لأعضاء الوفد الذين يعرفون التاريخ، ولا بجريمة الافتراء على الحقيقة والواقع، فكان مما قاله: «إن وجود فرنسا بالجزائر يكتسي صبغة شرعية» وهو زيادة على ذلك مطابق لجميع القوانين العالمية (!!) إن فرنسا لم تغز الجزائر بكل ما في لفظة الغزو

من معنى[1]. بل إنها لم تفعل إلا أن احتلت -بصفة قانونية- رقعة من الأرض لم تكن خاضعة لأي سلطان!!!

هكذا قال ممثل الدولة الفرنسية (الم. بينو) أمام أسماع العالم من غير خجل أو اكتراث ممن تعجب أو استغرب، كأنه نسي أنه يحدث نواب دول كان لكثير منها معاهدات واتفاقيات رسمية مع الدولة الجزائرية فيما مضى، وأن لفرنسا نفسها أيضا أحلافا عسكرية ومعاهدات تجارية مع الدولة الجزائرية.

إن الوزير الفرنسي للخارجية يعرف هذا حق المعرفة ولكنها الوقاحة والاندفاع في تيار السياسة الاستعمارية الفرنسية، القائمة على المغالطة والكذب والتضليل.

ولم يكتف الوزير بهذا الهراء، وبهذا التضليل فاغتنم الفرصة للمفاخرة على الأقران فقال في انتفاش وفخفخة:

«إن هيئة الأمم المتحدة تتكون من بلدان متمتعة كلها أو جلها بدستور إلا أن تلك الدساتير لا تبلغ في أغلب الأحيان مستوى دستورنا ديمقراطية وعدالة».

وهكذا كان المسؤولون الفرنسيون الذين يسوسون الدولة الفرنسية أيام حرب التحرير، هكذا كانوا يتحدثون عن التاريخ فيشوهون حقائقه،

---

(1) وهكذا لا يتورع من تزعم فرنسا أنهم قادة الفكر فيها عن تصريحات كاذبة لا تتفق والواقع والتاريخ، فقد قال (الم. جورج بيدو) وهو أستاذ في التاريخ -في إحدى خطبه الحماسية التي يحاول بها المغالطة والتضليل: «إن الإدماج قد تم في الجزائر منذ أكثر من مائة سنة وخاصة في المكاتب وميادين القتال...».

هكذا قال الزعيم الشهير في حزب المسيحيين، والقطب البارز في علم التاريخ، ولم يخجل من أحد، ولم يشعر بأدنى حرج.. وهو أول من يعلم أن خمسة وثمانين في المائة من الناخبين الجزائريين لا يقرأون ولا يكتبون، بل ولا يعرفون الحروف الهجائية حتى اضطرت الحكومة إلى أن تفرق لهم بين كلمتي (نعم و(لا) بطبعها في أوراق مختلفة اللون.

ويتحدثون عن الديمقراطية وهم في الواقع لا يؤمنون بها إلا أنها وسيلة من وسائل التمويه والمغالطة[1].

ولما رأت المصالح الفرنسية أن الشعب الجزائري طاقة متكتلة وراء جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني، عمدت غير مرة إلى إشاعة فكرة انقسام قادة الجبهة إلى (معتدلين) و(متطرفين).

ولكن هذه المناورة رغم تجنيد الأجهزة الإعلامية لها في تحمس ونشاط، لم تلق بدورها أي نجاح، وهنا لجأت الديبلوماسية الفرنسية إلى مناورة أخرى أوسع ميدانا، وجندت لها أبواقها المعهودة، من رجال السياسة والأحزاب والصحف، لبث التفرقة في صف الوحدة المغربية، حيث حز في نفس فرنسا أن ترى قادة الأقطار المغربية يتحدون، ويتكتلون صفا واحدا ضد الاستعمار الفرنسي، فحاولت تفريق الوحدة بطرق وأساليب مختلفة، منها محاولة إغراء كل من المغرب وتونس بإجراء مفاوضات من أجل حل (جميع المشاكل القائمة بينها) على أمل أن يتخلى قادة القطرين الشقيقين عن الجزائر[2].

ومحاولة التفرقة شنشنة قديمة عرف بها الاستعمار، وخاصة الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ومنذ الاحتلال البغيض لم تفتأ السلطات الاستعمارية تبذل قصارى جهدها في ضرب جزء من الشعب الجزائري ببقية الأجزاء الأخرى، فكم حاولت في عهد الثورة أن تفرّق بين العرب

---

(1) ذكرت المقاومة الجزائرية في عددها السابع الذي تحدثت فيه عن خطاب بينوان الطامة الكبرى في الخطاب هو الفصل الخاص بأيادي البيضاء، التي قدمتها فرنسا للشعب الجزائري في الميادين الاقتصادية والثقافية، والصحية، والاجتماعية، وحتى السياسية. وادعى بينو أن الجزائر في حالة مزدهرة جدا جدا.

(2) فات المسؤولين الفرنسيين أن يدركوا (أن وحدة الشمال الإفريقي ليست فكرة سياسية اقتضتها الألاعيب الديبلوماسية، وضرورات الدعاية، بل هي وحدة طبيعية دائمة).

والقبائل، وتذيع بأن هؤلاء ضد الميزابيين والعكس، ومن أهم مؤامراتها في هذا الميدان (ورقة المصالية) التي لعبت بها في حماس، وكان نهايتها الفشل الذريع[1].

وأصبح الجيش الفرنسي حامي حمى الأوروبيين بالجزائر، والناطق بلسانهم، وسيد الموقف لا في الجزائر فقط ولكن في باريس أيضا.

والذي يهمنا من هذا الحادث المهزلي الذي يذكرنا بحمق المسؤولين الفرنسيين، السياسيين والعسكريين، ويصور بجلاء وعمق مبلغ اليأس الذي بلغوه في ذلك الوقت، والحيرة التي أفقدتهم الرشد والصواب -هو تلك المسرحية المخجلة التي حشدوا لها جمعا غفيرا من الصحافيين وآلات التصوير لمشاهدة صورة من صور التضليل والمغالطة التي برع فيها هؤلاء.

وتتمثل المسرحية في أن الجيش الفرنسي أخرج مئات من الجزائريين من بيوتهم ونقلوهم في سيارات شحن عسكرية بعد الضرب والتهديد بالموت، للمشاركة في استعراض ببطحاء الحكومة بالجزائر إيهاما للرأي العام العالمي بأن الجزائريين والفرنسيين إخوة. سيحاولون -متعاونين- بناء المستقبل، والضرب على أيدي (المنحرفين).

وفي يوم 13 مايو 1958م، أعلن الجيش الفرنسي تمرده على الجمهورية، وتسليم مقاليد الحكم، وتم ذلك على أيدي الجنرال (ماسو) وأعوانه في الجزائر.

---

(1) عندما اندلعت الثورة التحريرية كانت السلطات الاستعمارية تحاربها بالاعتماد على طبقة (أعوان الاستعمار المعروفين) ثم تطورت المحاولة فأصبحت تعمل على فصل (طبقات الشعب الطاهرة) عن (البذور الفاسدة) ثم صارت تلعب ورقة العنصرية الطائفية بحمل طائفة على الأخرى.

وصاح (سوستيل) في الحشد الصاخب لتسمع باريس وليسمع العالم:

«إننا أصبحنا اليوم عشرة ملايين من الفرنسيين المتكتلين حول فرنسا لن تقوى على تفريقنا بعد اليوم لا باريس ولا جبهة التحرير»[1].

هل عرفت -قارئي الكريم- مثل هذا في ميدان التزييف والمغالطة وفي ميدان التخاذل والارتكاس؟

جزائريون وجزائريات «ألهبت ظهورهم بالأمس القريب السياط، ومروا على دواليب التعذيب، وما تزال آثار التنكيل على جلودهم وفي قلوبهم الدامية، وانتزعت أظافرهم، وهشمت أسنانهم، ثم يشاركون في المظاهرات (الأخوية) ويهتفون بحياة ديغول والجيش الفرنسي!!!.

من تنطلي عليه هذه الخدعة؟ ومن لا يدرك أنها مهزلة تمثيلية من مهازل (سوستيل) و(ماسو) وغيرهما من المسؤولين الفرنسيين البارعين في هذا الفن؟

لا أحد. ولكن المسؤولين الفرنسيين آنذاك عجزوا عن مقاومة الثورة التي رأوها رأي العين تقترب من نهايتها لينسدل الستار نهائيا على أشلاء الاستعمار، فلم يبق لهم إلا أن يلعبوا هذه الأدوار لمخزية للاستهلاك الخارجي[2].

وعندما أعلن عن تكيون الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية يوم 19 سبتمبر سنة 1958م وأعلنت هذه الحكومة استعدادها لفتح مفاوضات مع فرنسا من أجل وضع حد للحرب، ظنّ القادة الفرنسيون أن جبهة

---

(1) عن المجاهد – العدد 24 – مايو 1958م.

(2) وقد أصدرت جبهة التحرير الوطني بلاغا إثر هذه المهزلة جاء فيه بالخصوص: «إن أولئك المسلمين والمسلمات الذين شاركوا في استعراض ببطحاء الحكومة بالجزائر قد جروا قهرا إلى ذلك المكان في سيارات شحن عسكرية بعد الضرب والتهديد مما دفعهم إلى القيام بدور لا يحتاج إلى تعليق» (المجاهد 24 مايو 1958م).

التحرير الوطني قد غيّرت سياستها وأدخلت عليها عنصر (الاعتدال) ولذا أعلنت منذ تكوينها أنها مستعدة للتفاوض.

والساسة الفرنسيون بما طبعوا عليه من المغالطة والتضليل رأوا أن يغتنموا هذا المفهوم، فقد يتأثر به بعض الناس، فأشاعوا أن هناك اختلافا بين قادة الجبهة، فالمعتدلون منهم قد انتصروا على المتطرفين، وراحت الصحافة الفرنسية تتغنى بهذا الخلاف الموهوم، وتستنتج منه أن جبهة التحرير قد ضعُفت ولم تعد لها قدرة على مواصلة الحرب[1].

وفي أواخر سنة 1959م وبعد أن فشل الجهاز الاستعماري الفرنسي في القضاء على الجبهة ونظامها المحكم عمد إلى أسلوب جديد - وهو الذي لا يتردد في اختراع واستعمال أفظع الأساليب، وأشنعها وأقذرها - فجلب من الجزائر بعض فرق القوم والحركى التي كانت تعمل مع جنود المظلات في العاصمة الجزائرية وكلفهم بمهمتين:

الأولى - التمركز في الأوساط الجزائرية ومحاولة إثارة القلاقل.

الثانية - محاولة التسرب إلى صفوف الجبهة والقيام بأعمال إرهابية فظيعة حتى تنسب إلى جبهة التحرير، وتضر بسمعتها في العالم، وأصدر أمره إلى أفراد هذه الفرق بأن يقولوا عندما يلقى عليهم القبض في فرنسا بأنهم ينتمون إلى (الحركة المصالية) وبذلك يأمل الجهاز الاستعماري أن يصيب عصفورين بحجر: أولا- يضر بسمعة جبهة التحرير، وثانيا يوهم الناس أن (الحركة المصالية) ما يزال لها أنصار ومؤيدون.

---

(1) وغاب عن المسؤولين الفرنسيين أن أهداف وأسس المفاوضات التي دعت إليها الحكومة المؤقتة، لم تكن تختلف في شيء عن المبادئ والأهداف التي أعلنها منهاج الثورة، وهي أن التفاوض لا يقع إلا مع جبهة التحرير الوطني، أو مع (الحكومة الوطنية التي انبثقت عنها) وأن يكون هدف المفاوضات هو تحقيق الاستقلال

دار سوستيل

وفي سنة 1959م كشفت الصحافة الحرة أن سوستيل يشرف على عصابة للتضليل والتزييف فاقت في شذوذها وغرابتها وحقارتها كل عصابة تمتهن التزوير وطمس الحقائق.

إنها تقوم بتزوير البلاغات والتعليقات عن جيش التحرير الوطني، وتذيعها باسم (إذاعة صوت العرب من القاهرة).

وقد اتخذت هذه العصابة (إذاعة كاملة) في (كليبر) مقاطعة (أرايلوار) الفرنسية تعتمد على أموال الحكومة الفرنسية وتحرسها فرق من الجيش الفرنسي، وهي عبارة عن بناية ضخمة يحيط بها بستان كبير جميل، وتعرف عند سكان المقاطعة باسم (دار سوستيل)[1].

وفي هذه الدار يتم تحضير برامج إذاعية وصحفية بإشراف أخصائيين فرنسيين ينتمون جميعا إلى قسم الجاسوسية، وعصابات اليد الحمراء، ومسؤولهم المباشر هو الكومندان (كولون) وهو من ضباط الشؤون الأهلية.

وأهم أعمال العصابة في هذا المركز الإذاعي تتلخص في هذه النقط:

1- حصص إذاعية عادية تسجل بالعربية وتذيعها محطة الإرسال الباريسية رقم 2 في مساء كل يوم ابتداء من الساعة العاشرة.

2- حصص إذاعية تحمل اسم (صوت الجزائر) مهمتها الدعاية للحركة المصالية التي يوجهها البوليس السري الفرنسي.

---

(1) تقدم في شهر أوت 1959م إلى هذا المركز المغني سليمان عازم المطرب القبائلي فسجل نشيدا لحنّه بنفسه وسماه (نشيد الحركي) وكان هذا من سخريات الزمن ومضحكاته (جاء الخبر في المجاهد عدد 60 – 1966/10/25).

3- حصص التزوير وهي الأساسية لهذه الإذاعة، وأعمالها كثيرة مكثفة تذاع باسم (إذاعة صوت العرب من القاهرة) على نفس موجات صوت العرب وفي نفس الوقت وبنفس اللهجة التي يصحبها قليل من (التشويش الإذاعي).

وقائمة المؤامرات والمغالطات، والأفعال الشنيعة المنافية للأخلاق، والقوانين التي قام بها المسؤولون والسلطات الاستعمارية الفرنسية للنيل من الثورة التحريرية ستتمدد إن نحن تتبعنا بقيتها واستقصاءها، كطبع مناشير باسم جبهة التحرير الوطني، تدعو المجاهدين إلى إيقاف القتال في الأماكن التي صارت ظروف القتال فيها صعبة، وإشاعة الأخبار عن تصدع بين قادة الجبهة وجيش التحرير، وإعلانات عن مقتل قادة الثورة هنا وهناك[1] وتجويع مناطق واسعة آهلة بالسكان[2] والاعتداء على حرمات النساء تحت نظر الأزواج والأبناء[3] وأخذ الأطفال والنساء إلى المراكز العسكرية كرهائن، وتقتيل المدنيين، ونشر عددهم على أنهم قتلى في صفوف المجاهدين، وإحراق الغابات حتى يسهل اكتشاف المجاهدين وتتبعهم، وتعذيب المشبوهين بطرق وكيفيات رهيبة لا يتصورها الخيال مهما كان مجنحا، وإصدار أحكام الإعدام كل يوم على عشرات المواطنين.

---

(1) كما أعلن عن مقتل العقيد اوعمران، والعقيد محمدي السعيد، والعقيد إعزورن، وأحيانا يؤكدون في تصريحات رسمية بأن (فلانا القائد الثوري قد استسلم).

(2) وهذا قد وقع في كثير من المناطق وفي مختلف سنوات الثورة.

(3) وكثيرا ما أجبر الرجل على مواقعة أخته أو ابنته فأبى فقتل شر قتلة.

أما أساليب التغرير الفرنسية الأخرى الشيطانية التخطيط، الكبيرة الهدف، كمحاولة تقسيم الجزائر، والاحتفاظ بالصحراء[1]، والاستفتاء، فالكلام عنها يطول ويتسع وليس ذلك من غرضنا في هذه العجالة.

وكل هذه المحاولات والمؤامرات والأساليب الشيطانية تكشف عن مدى حيرة المسؤولين الفرنسيين وإفلاسهم الذريع، وفقدهم للعقل المفكر، الذي من شأنه أن يخطط ويقرأ الحساب لعواقب الأمور التي كان لها بعدها النفسي في الجيش والشعب الفرنسي[2].

---

(1) كانوا يقولون: إذا كانت الجزائر للجزائريين فإن الصحراء للفرنسيين «لأن بها رائحة البترول التي تنعش النفوس) ووضعوا برنامجا طويلا وعريضا لاستثمارها استثمارا مشتركا بين دول أوروبا حتى تصير الجزائر هدفا للمطامع الأوروبية المجتمعة

(2) وإذا كان قد أوثر عن الحكماء قديما أن أبرز ظواهر الحماقة شرب السم للتجربة، فإن المسؤولين الفرنسيين، كثيرا ما عمدوا إلى تجارب لتوهين الثورة والقضاء عليها فعادت عليهم بالوبال.. والخسران المبين.

وغايتنا من هذا العرض السريع الموجز، أن نسجل أن الحرب النفسية القذرة التي لم تفتإ السلطات الاستعمارية الفرنسية تمارسها منذ اندلاع ثورتنا التحريرية ضد الشعب الجزائري قصد زعزعته وزحزحته عن هدفه، جاءت بها تعليمات شيطانية لخطط مدروسة مسطرة في معركة (التهدئة) التي يحلو لساسة فرنسا أن يطلقوها على الحرب الفظيعة بالجزائر. تلك التعليمات والخطط التي جعلت الحربين: حرب الإبادة الوحشية الضارية، والحرب النفسية القذرة عاملين متكاملين، أحدهما يوهن العزائم، ويبث بذور اليأس، وينشر الشلل، وينقل العدوى، ويراوغ، ويخادع، ويكيد، وينصب المصائد، وثانيهما يدمر، ويدمدم، ويهلك الحرث والنسل.

فإذا كانت (حرب الإبادة) تتسم بطابع القسوة والضراوة، والفظاعة، والرغبة الملحة في القضاء على الإنسان الجزائري، فإن (الحرب النفسية) كانت تتسم بطابع الخسة، والنذالة، والتجرد المطلق من كل معاني الشرف.

وتبرز في السياسة المائعة الرعناء التي اعتمدتها السلطات الاستعمارية الفرنسية، القائمة على التضليل والتآمر والخداع، مؤامرة ستظل على الدوام تنطق بغباوة القادة الفرنسيين وبلاهتهم، وذكاء قادة الثورة ودهائهم، وبعد نظرهم، وعمق تفكيرهم، ومقدرتهم على أخذ المبادرة في الظروف الحرجة العصيبة.

ليس معنى هذا أن المؤامرات الأخرى لا أهمية لها، وإنما نعني أن هذه المؤامرة بالخصوص ستظل تحتفظ بدلالاتها وأبعادها، لتذكر بأن وراء الأشياء كلها مدبرا حكيما، وبأن من يسعى وراء حقه، مخلصا ومستنفدا لجهده، يعينه ربه، وييسر له أسباب النصر، ويمكنه من عدوه، ويجعل سلطانه فوق سلطانه، ومصيره بيده..

هذه المؤامرة أطلق عليها اسم (العصفور الأزرق)[1] وبه عرفت في ثورة التحرير، أما في محافل فرنسا الرسمية فكانت تسمى (القضية الهامة).

ورغم أهمية هذه المؤامرة، واستثارتها للرأي العام العالمي عند انكشافها، فإن جل أجيالنا لم يسمعوا عنها شيئا، بل أكاد أجزم بأن القليل جدا منهم من سمع بها[2] لأن الكثير من كبارنا الذين عاشوا الثورة لم يعرفوا عنها أي تفصيل، وإنما سمعوا عنها بصفة مجملة لا تعدو أن تكون عنوانا بين عناوين المؤامرات الاستعمارية، أو مجرد عملية خسيسة أراد بها سوستيل أن يطعن الثورة في الصميم، فجعل الله كيده في نحره، فشرب السم بيده، وخرّب بيته بنفسه.

وحتى أقلام كتابنا التي تعنى أحيانا بالثورة التحريرية لم تهتم بهذه القضية ولم توفها عناية ما، مع أنها جديرة بالاهتمام ليعرف أجيالنا الصاعدة بالخصوص أن آباءهم ليسوا أبطالا مغاوير في ميادين القتال فحسب، بل كانوا أيضا، دهاة أذكياء، يعرفون كيف يحبطون المناورات

---

(1) تقدم ذكر علة تسميتها بهذا الاسم (العصفور الأزرق).

(2) ذكرتها يوما في محاضرة عرضا وعند خروجي منها سألني عنها كثير من مختلف الفئات لا يعرفون عنها شيئا.

ويهزأون بالمتآمرين، ويجعلونهم (يخربون بيوتهم بأيديهم) كما قال القرآن الكريم[1].

كان (الم. روجي ليونار) مقيما على الجزائر عندما اندلعت الثورة التحريرية في فاتح نوفمبر 1954م ولما لم تجد جهوده العسكرية والسياسية الرامية إلى إحباط الثورة، ومواجهة تيارها الجارف الذي يزداد كل يوم قوة واندفاعا، نقل إلى فرنسا وعين مكانه (الم سوستيل)الذي جاء إلى الجزائر في شهر فبفري 1955م وكله أمل بل اعتقاد بأنه لن تمضي إلا أيام قلائل حتى تخمد الثورة، وينطفئ لهيبها، ويضع (الفلاقة) أسلحتهم ويأتوا نادمين يطلبون العفو.

وقال في خطاب ألقاه أمام المجلس الجزائري لتوضيح سياسة حكومته: «إن فرنسا لن تغادر الجزائر مثلما يستحيل عليها أن تغادر مقاطعة (لابروفانس) أو (لابروطاني)، إن فرنسا اختارت سياستها وهذه السياسة هي (الإدماج)[2].

ومما قوى هذا الاعتقاد في نفس (سوستيل) موت بعض قادة الثورة في تلك الأثناء[3] مما جعل وزير الداخلية الفرنسية في شهر جوان 1955 يؤكد أن المقاومة الجزائرية سوف تنتهي إلى فشل لأننا عرفنا برنامج

---

(1) مما جعل المفكرين ورجال السياسة في العالم يشيدون بقادة الثورة التحريرية ويثنون على عمق تفكيرهم، وبعد نظرهم، وقدرتهم على دحض الشبه، وإحباط المناورات، وتفويت الفرص على المستعمرين. ففي مؤتمر طانجة قام المرحوم علال الفاسي ليشهد أمام الملأ بأنه وجد في رجال الجزائر السياسيين «نبراسا هاديا لما امتازوا به من بعد في النظر ونزاهة في المبدأ» - المجاهد ع 31 - 1958/11/1.

(2) عندما سأل مندوب (المجاهد) أثناء رحلة قام بها عبر الأقطار الآسيوية سنة 1958 الجنرال (جياب) بطل ديان بيان فو عن رأيه في سياسة الإدماج بالجزائر أجاب قائلا: «إن الاستعمار الفرنسي لم يعرف كيف يتعظ من حرب تحرير الفيتنام، إنه عندما يتمسك بسياسة الإدماج قد سلك طريق الهزيمة المحققة التي لا توجد فيها أية ذرة من فرص النجاح» عن المصدر السابق.

(3) رمضان القسنطيني 12/1954 باجي مختار 12/1954 ديدوش مراد 1/1955.

العمل من الوثائق المأخوذة، فقد اطلعنا أن الثوار قسموا الجزائر إلى ست مناطق، فالأولى وهي الأوراس وقائدها مصطفى بن بولعيد، والثانية وهي الشمال القسنطيني لا يعلم شيء عن قائدها ويظن أنه قتل، والثالثة وهي القبائل وقائدها كريم بلقاسم، والربعة وهي الجزائر خسرت قائدها الأول الذي أخذ أسيرا في شهر مارس وكذلك نائبه الذي ألقينا عليه القبض في أول جوان، والخامسة وهي وهران بقيت بدون إدارة عدة أسابيع، والسادسة وهي الجنوب لم تجد إلى الآن قائدا فيما يظهر. وكل هذا في نظره دليل قاطع على أن الثورة في طريق الموت.

وما درى سوستيل أن الثورة لن تقف بموت قائد مهما كانت مكانته لأن الذين وضعوا أسس هذه الثورة قد درسوا كل صعوبة تعرض، وكل مشكلة تواجه، ولأن الثورة تحيا في قلب كل مجاهد وثائر سواء كان قائدا أو مجاهدا أو مناضلا بسيطا[1].

فكّر سوستيل طويلا ومعه أعوانه المقرّبون من نجوم السياسة والجندية الفرنسية في اختراع برنامج تسحق به الثورة العنيدةو هذه الثورة التي استعصت على فرنسا وما تملك من الطائرات، والمدرعات، والمدمرات، والحاملات، والناقلات، والكاسحات، والغازات السامة.

أداروا أعينهم الزائغة هنا وهناك فتفتقت أذهانهم عن برنامج هائل لا يقدر على اختراعه إلا الشيطان، إنه برنامج لا شك أنه سيمحق الثورة في أجل قصير وسيعيد حتما أولائك (الخارجين عن القانون) إلى الجادة وخدمة السادة إلى الأبد.

---

(1) جاء في مقدمة المنهج السياسي لتحقيق الثورة الجزائرية ما يلي:
«فالذين لهم خبرة بحركات المقاومة يعلمون إن إلقاء القبض على قائد واحد أو قادة عدة لم يكن ليعطل هذه الحركات أبدا وذلك أءوكد وأصح فيما يخص الثورة الجزائرية التي ليس على رأسها قائد واحد ولكن يقودها مجلس وطني للثورة الجزائرية».

رأى سوستيل وأعوانه أن تكون بداية تنفيذ هذا البرنامج منطقة القبائل. ويتلخص البرنامج في أن ينظم سوستيل وجماعته فرقا مسلحة من الجزائريين في سر مطلق، وخفاء تام، لمقاومة الثوار، فحينما ينجح المخطط في هذه المنطقة يوسع فيه إلى مناطق أخرى...

وكان رجل خائن بالقرب من عزازقة هو الذي وقع عليه الاختيار ليضطلع بالمهمة، وهو صديق حميم للمستعمرين الفرنسيين لا يخون، ووفي لا يغدر، امتلأ قلبه بحبهم حتى لم يبق فيه مكان لحب آخر، فالكلمة التي على لسانه، والقوة التي في يده، والفكرة التي في رأسه، إنما تأتيه من خارج نفسه!!

وكان هذا الرجل الخائن قد درس في صباه على معلم فرنسي، له قدرته على امتلاك القلوب الضعيفة التي لم يعمرها الإيمان وحب الوطن، فملك قلبه وغرس فيه حب فرنسا.

وكان للمعلم الفرنسي ولد في سن هذا الرجل يدرس في نفس المدرسة فنشأ الولدان على تآلف وزمالة، وكانا لا يفترقان إلا قليلا.

ثم انتقل المعلم بأسرته إلى فرنسا ولكن الرجل وابن المعلم بقيا على صداقتهما يغذيانها بالتزاور والمراسلة.

وقبل اندلاع الثورة التحريرية بأشهر تعين ابن المعلم الفرنسي في المخابرات السرية الفرنسية بفرنسا فتطورت العلاقة بينه وبين الرجل حسب الوظيفة التي لها ارتباط بالوضع السياسي في الجزائر بحكم طبيعتها.

وهكذا تجاوبت المشاعر، وتلاقت الخيوط، وتهيأ لسوستيل ما أراد.

اتصل (سوستيل) بالرجل وتحادث معه وصارحه بوجوب مساعدته، وكشف له عن خطته العجيبة التي لا شك في نجاحها.

والخطة تتمثل في تجنيد أشخاص من منطقة القبائل يكونون في مستوى المهمة الخطيرة شجاعة، وذكاء، وسرية، ينظمون في فرق مسلحة يتراوح عدد كل فرقة منها بين خمسة وعشرين رجلا كما هو النظام في فرق جيش التحرير الوطني الجزائري.

ومهمة هذه الفرق أن تغتال قادة جيش التحرير الوطني في منطقة القبائل وبعد أن تصفي حسابهم هناك تنتقل إلى مختلف نواحي الجزائر.

فما كان من الرجل إلا أن قبل الفكرة ورآها فرصة للتقرب أكثر إلى فرنسا وتأكيد إخلاصه لها، رغم خطورة وصعوبة تنفيذها.

وكان للرجل صديق حميم هو (زيدان أحمد) الذي اشتهر في الثورة باسم (أحمد أزايد).

ولكن الغريب في الأمر هو أنهما كانا –رغم هذه الصداقة- على طرفي نقيض، فأحمد أزايد مناضل قديم، صادق الوطنية، يبذل ولا يطمع في العوض، ويضحي ولا يفكر في الجزاء، كل سعادته أن يخدم وطنه، وأن يراه يوما قد حطم قيوده، وافتك حريته، وكان له دوره ونشاطه السري في الثورة دون أن يعلم بذلك الرجل، إذ كان يظن أنه قد انقطع عن الماضي ولم يكن يربطه به إلا ذكريات يرويها في (ندم وحسرة) للرجل وأمثاله للتعمية والإيهام.

وكان (لأحمد أزايد) مطعم بمدينة عزازقة فتحه قبل اندلاع الثورة يخفي وراءه هويته وعمله الحقيقي، مما جعل الرجل يثق فيه ويوقن أنه قد اهتدى إلى الطريق الصحيح، ولم يعد ذلك المغفل الذي يتحدث عن الحرية والاستقلال[1].

---

(1) كان احمد بارعا في تمثيل دور من لا يهمه إلا مستقبل أولاده كلما تقابل مع صديقه في المطعم

فكّر الرجل طويلا في المهمة الخطيرة التي انتدب لها فرأى أخيرا أن يعرضها على صديقه (أحمد أزايد) ويحاول إقناعه بوجوب التعاون معه على تنفيذها وهو المعروف بالشجاعة وكتمان السر، وكل ما فيه يشهد بقدرته على المغامرة، بل يغلب على الظن أنه سيرتاح للمشروع، ويتحمس له، وكيف لا وهو (جواز مرور) إلى رغد العيش وحياة النعيم.

قصده في مطعمه وتناولا الغداء معا ثم اختلى به في ركن بعيدا عن الناس وأفشى له السر الذي أحاطه بسياج من التهويل والتخويف حتى يضعه في مكانه اللائق به، ويعطيه من العناية والأهمية ما يجدر به.

فكان الجواب بعد حوار قصير بالقبول مبدئيا.. وسيفكر جديا في الموضوع حتى يبت فيه، وافترقا على أن يتلاقيا بعد أيام قليلة.

سارع أحمد، الوطني المخلص، الذي رآها فرصة ثمينة قد تستغل لصالح الثورة - سارع إلى مسؤول الثورة (إعزورن محمد، الذي يعد من خلص أصدقائه وكانا معا مناضلين في حزب الشعب قبل الثورة، فكشف له عن مشروع سوستيل ورغبة الرجل في مساعدته على تنفيذه.

بادر (إعزورن) بدوره إلى (كريم بلقاسم) قائد الثورة ومسؤولها بالمنطقة يطلعه على البرنامج.

وبعد تفكير في القضية وحوار مع مسؤولين ثوريين في مناحيها المختلفة وكل ما عسى أن ينتج عنها، قرر كريم أخذ الأمر بالحكمة والقوة وكامل اليقظة، حتى تكون المؤامرة لصالح الثورة رغم ما فيها من خطورة بالغة، ومغامرة لا تدرك عواقبها.

وكان من المسؤولين الذين درسوا القضية ورأوها فرصة سانحة وساعة مواتية لدعم الثورة، وتوسيع لهيبها، (علي ملاح) المدعو

(سي شريف) و(إعزورن محمد) المعروف باسم (بريروش) والعقيد محمدي السعيد المدعي (سي الناصر).

وهكذا تقرر التعاون مع (سوستيل) لتحقيق المشروع، واختير لقيادة رحال هذه المنظمة وتنظيم شؤونهم، وتسيير أعمالهم العقيد (إعزورن محمد) على أن لا يجنّد في المنظمة إلا المناضلون المخلصون الأذكياء الذين يقدرون على تحمل أعباء هذه المخاطرة ذاتا ونفسا، ونظرا ووطنية، وقدرة على كتمان السر.

وكان الانتقاء يتم بكامل الحذر والسرية حتى لا يتحقق هدف سوستيل وأعوانه، وكان جميع الذين وقع تسجيلهم وتنظيمهم في هذه الفرق من قائمة سلمها قادة جيش التحرير في بلاد القبائل إلى قائد المنظمة.

ولكن العملية تطلبت أياما كثيرة مما جعل الخائن يراجع صديقه (أحمد أزايد) ويستحثه على ضرورة الإجابة النهائية، ووجوب الشروع في التنظيم والتخطيط وتلقي التعليمات من القيادة الاستعمارية في الجزائر، وكان هذا في شهر فيفري سنة 1955م.

وبعد مدة من انتظار الخائن على أحر من الجمر جاء الجواب بالإيجاب..

وكا سوستيل قد تخلى عن منصبه وجاء (لاكوست) خلفا عنه، وعندما تسلم مقاليد الحكم، همس سوستيل في أذنه بالخطة التي سماها إذ ذاك (القضية الهامة) فكاد (لاكوست) يطير فرحا للصفقة الرابحة وقال: «هذه أفضل خطة نتخلص بها من الثوار ومن الثورة».

سارع الخائن إلى (لاكوست) بعلمه بأن تنظيم شبكة من الرجال قصد القضاء على الثورة حسب الكيفية الموصوفة أمر ممكن.

وعندئذ تلقى الخائن من القيادة الفرنسية الإدارية والسياسية تعليمات ليقدمها إلى (أحمد أزايد) وهذا يقدمها بدوره إلى قائد المنظمة (إعزورن محمد).

وهكذا تم تجنيد وتسليح مناضلين أوفياء لا يقل عددهم عن ستمائة شخص، تم ذلك في سياج من الكتمان التام الذي يحار منه العقل[1].

وهؤلاء المجندون لتنفيذ مؤامرة (سوستيل) يعدون في نظر الجبهة والجيش من خلص المناضلين وأوفيائهم، ويعتبرون في نظر (سوستيل) وخلفه (لاكوست) ومعينهما وعميلهما الخائن جنودا سلحوا لمحق الثورة وطرد أشباح (الفلاقة) - التي تخيفهم وتنفي الكرى عن أعينهم، وتكدر صفو حياتهم- وإعادة الطمأنينة والأمن إلى نفوسهم حتى يطيب لهم المقام -على الدوام- في أرض الجزائر كما طاب طوال قرن وثلث قرن.

وقدمت فرنسا إلى رجال هذه المنظمة أسلحة هامة، من بنادق حربية، ورشاشات، وقنابل يدوية، وذخيرة حربية ضخمة، وألبسة عسكرية متنوعة، ومالا وافرا، ولم تضن عليهم في كل ما يحتاجون إليه لأن المهم عند المسؤولين الفرنسيين، أن تمحق الثورة، ويقضى على الثوار، ويعود إلى فرنسا شرفها ومهابتها.

«والجدير بالذكر أن الإدارة الفرنسية كانت تهتم بتنظيمهم وتخديرهم بسياستها، ترغيبا وترهيبا، وترغبهم بمستقبل زاهر لهم، وتحذرهم عند الانحراف بغية القضاء المبرم على هؤلاء الثوار في لحظة

---

(1) وهذا يدل بعمق على نظام الثورة المحكم وتماسك أجهزتها، وتلاحم عناصرها المختلفة، فإن تحقيق السرية المطلقة بين أفراد العائلة الوحيدة أو بين طائفة من الناس أمر صعب عسير، فكيف إذا كان بين مئات من الناس؟ ولكنه النظام المحكم، والعقاب الصارم الذي ينتظر من يفشي سر الثورة!!!

ما، ولحسن سبك الخطة كان هؤلاء المنظمون يظهرون الميل بشعورهم وعواطفهم للإدارة العسكرية الفرنسية، وخاصة عندما كانوا يعذبون المجاهدين وكان هذا في نظر العدو تطوعا وإشارة وفاء لما نظموا لأجله، فينالون من الجزاء المتمثل في المال والسلاح[1].

وكان جنود المنظمة يقتلون عملاء الاستعمار وخونة الوطن على أنهم مجاهدون بعد أن يلبسوهم لباسا عسكريا ثم يخبرون عنهم الضابط الفرنسي المكلف بالقضية في الجهة لمشاهدة المجاهدين المقتولين للاطمئنان على سير المنظمة في اتجاهها المطلوب.

واستمر الوضع على هذه الحال، ولكن الأمر كاد يفتضح يوما عندما قتلوا خائنا وألبسوه لباسا عسكريا ثم أخبروا الضابط على العادة، ولما انتقل إلى المكان لمشاهدة المجاهد المقتول اكتشف أنه ليس مجاهدا، بل كان عميلهم وعونهم الأمين، مما استثار في نفوس المسؤولين الفرنسيين ارتيابا، وجعلهم يحتارون في الأمر ويراجعون عميلهم، وهذا بدوره يراجع صديقه (أحمد أزايد) وما كان من هذا إلا أن اخترع مكيدة للتغطية على ما وقع، وطمأن صديقه وإدارته مؤكدا أنه المسؤول عن نجاح القضية، والضامن الوحيد الذي لا يتحمل عواقبها سواه.

وكان لاكوست منذ توليه الحكم في الجزائر يزداد تفاؤلا وأملا في القضاء على الثورة، ويعلن من حين لآخر بأن الثورة في ربع الساعة الأخير.

وتعاقبت انتصارات الثورة عسكرية وسياسية في الوقت الذي تتعاقب تصريحات لاكوست، وقادة فرنسا العسكريين والسياسيين بأن الثورة قد ضعفت وأنها في نهايتها الحتمية.

---

(1) عن أهم أحداث الثورة التحريرية 55 – 56 بولاية تيزي وزو المقدمة للملتقى الوطني الثاني لكتابة تاريخ الثورة ماي 1984، ص 13.

كل ذلك لأنهم اخترعوا السحر العجيب، الذي بدأوا استعماله ببلاد القبائل، هذا السحر القائم على مؤامرة سوستيل ومن بعده لاكوست، وهي مؤامرة ظاهرها فيه الرحمة والطمأنينة والنصر، وباطنها من قبله النقمة والعذاب والهزيمة.

وفي مؤتمر الصومام المنعقد يوم 20 أوت 1956[1] تقرر فضح المؤامرة وإدراج الفرق المسلحة في صفوف جيش التحرير الوطني، لتشارك في هجوم الخريف الذي يشن في كامل التراب الجزائري مساء يوم 30 سبتمبر 1956م.

فعلا صدر الأمر لفرق المنظمة بالالتحاق بأسلحتهم فورا، وتم التحاقها بجيش التحرير الوطني، في الوقت المعين، إلا قليلا منهم لم تبلغهم الدعوة في الوقت المناسب، فسارت القوات الفرنسية المتمركزة بـ (معاتقة) ناحية تيزي وزو إلى حجز أسلحتهم وأسرهم.

وكانت مفاجأة مذهلة للقادة الفرنسيين لم يقدروا على احتمالها، ولم يستطيعوا استساغتها، إذ لم يخطر على بال أحدهم، ولا يمكن أن يخطر أن الجزائريين الذين ربّوهم قرابة قرن وثلث على الجهل، ودرّبوهم على الطاعة، وقتلوا فيهم الموهبة، قادرون على قلب مناورة دبرها دهاة عباقرة في فنون السياسة والحرب، وجعل دائرتها تدور عليهم.

أما جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني، فلم يسعهما أمام هذه المسرحية إلا الضحك في سخرية من هؤلاء الذين عاشوا وعاش آباؤهم وأجدادهم من قبل مع هذا الشعب قرنا وثلث قرن ومع ذلك لم يعرفوه على حقيقته، فما أبعد نظرية المستعمرين المتهافتة التي يزعمون فيها أنهم يعرفون هذا الشعب لأنهم عاشوا محتلين أرضه، ممتصين دمه.

---

(1) لهذا المؤتمر أهميته الكبرى، ففيه انبثقت مقررات عسكرية وسياسية، وأخذت الثورة بعده اتجاها جديدا في سيرها نحو النصر.

وهكذا لم يسع المسؤولين الفرنسيين أمام المفاجأة الرهيبة التي زلزلت الأرض تحت أقدامهم إلا أن ينتقموا شر انتقام، ويثأروا لشرف فرنسا الذي أصيب في الصميم، فعمدت قوات عسكرية هائلة تتمثل في عشرات الآلاف من الجنود، مدججين بمختلف الأسلحة، تعززهم قوات جوية وبحرية وأسلحة برية ثقيلة.

عمدت إلى القيام بحملة حصار واسعة النطاق تشمل مدنا كعزازقة، تغزيرت، وأزفون، وقرى كثيرة يعسر حصرها، وهجموا هجوم الغدر على المدنيين العزل، تدفعهم الوحشية الضارية التي فاقوا بها وحوش الغاب[1] فاشتبكوا مع المجاهدين، وتواصلت المعارك شديدة طوال خمسة أيام وكان عدد المجاهدين يربو على الألف، واجهوا القوات الفرنسية ببطولة نادرة، واستبسال عظيم.

وكان من الجائز أن يلوذ بعض المجاهدين الشيوخ بالمغاور والملاجئ ليأمنوا من هجوم الجنود الفرنسيين الذين يحملون بين جوانحهم قلوبا مجروحة لا تندمل إلا بإراقة دماء الجزائريين والجزائريات وسقي الأرض منها حتى ترتوي، لكنهم استحبّوا الموت على الحياة، والمجد على النجاة، فثبتوا في أماكنهم ثبات الأسود الذائدة عن عرائنها،

---

(1) يحضرني هنا ما حدث به المرحوم الحاج مصطفى بن أحمد الشيخ حماني من انه ذهب إلى مقابلة الجنرال ديغول سنة 1956 مبعوثا من جبهة التحرير الوطني ليوضح له ما يرتكبه الجيش الفرنسي من فظائع في الجزائر، فأنصت له الجنرال جيدا – وهو المحامي اللبق– فلما انتهى من بيانه رفع ديغول رأسه وقال له:
«ليس لكم حق في الشكوى من أعمال الجيش، فقد كلف بإخماد الثورة ولا بد أن يتركب في سبيل الوصول إلى غايته ما تشكون منه، ومع ذلك فإني أؤكد لكم بأنكم ستنالون الاستقلال لأنكم قبلتم أن تموتوا من أجله، وكل أمة تستقل إذا قبلت الموت، وأنتم قد قبلتم ذلك فلا بد أن تستقلوا. لا أقول لكم إن ذلك قريب أو بعيد ولكنه آت لا ريب فيه» عن (الأصالة) العدد الخاص بالقرن 15 الهجري

وواجهوا قوات العدو الغائرة ببسالة وصبر وتضحية، وفي هذه المعركة استشهد مجاهد يهدف عمره إلى الثمانين أبى عليه إيمانه وحقده على الاستعمار الفرنسي إلا أن يكون من طلائع الثورة ومن مفجريها يوم غرة نوفمبر 1954، الا وهو (علي عجموظ) المشهور بين المجاهدين بـ (عمي علي)[1].

واشتهرت هذه المعركة بمعركة (آقني أزيضوض)[2].

مني العدو فيها بخسائر فادحة، حيث يعد قتلاه وجرحاه بالمئات، كما كانت خسائر المجاهدين كبيرة، وتضرر المدنيون، وتعرضوا لعمليات وحشية فظيعة وجرائم يندى منها جبين الإنسانية، وهي مألوفة في ثورتنا، وإنما الجديد فيها بالنسبة إلى هذه النواحي شمولها وطابعها البارز في القمع الوحشي والتنكيل البربري والحقد الأعمى.

وفي هذه العمليات قُتل الفقيه القرآني (الشيخ محمد الطاهر الإفليسي) الذي عُرف بالوطنية الصادقة، والنضال الثوري[3].

وقد ثار المجاهدون للشيخ إثر استشهاده بإعدام راهب فرنسي يعمل بعزازقة وأزفون، ولما قتلوه وضعوا ورقة على صدره وضحوا فيها للمسؤولين الفرنسيين أنهم لا يقتلون المدنيين بله رجال الدين، وإنما قتلوا هذا ثأرا للشيخ الطاهر[4].

---

(1) وأذكر للتاريخ أن اجتماعا للمجاهدين وقع في 17 من رمضان 1374 هـ الموافق ليوم 8 ماي 1955 في قرية (تيوز وشت) ناحية عزازقة، تحدثت فيه عن الجهاد والمجاهدين، ثم اقترحت على (عمي علي) أن يتحدث بصفته أكبرهم سنا، فاكتفى بهذه الكلمة التي لا أنساها ما حييت: «لقد كان الطريق إلى الحرية مسدودا، والطريق إلى الجنة طويلا، ففتح الطريق أمامنا إلى الحرية، وأختصر الطريق إلى الجنة، فبيننا وبين الجنة الشهادة، وبيننا وبين الحرية أن نواصل الزحف على الطريق إلى النهاية»، ليس لي إلا صياغة هذا القول.

(2) سميت باسم المكان الذي دارت فيه المعارك بشدة (أقني) في اللغة البربرية: الساحة العريضة.

(3) أطلق اسمه أخيرا على المسجد الجديد بمدينة تغزيرت.

(4) شقيق جده هو المجاهد البطل في الحرب السبعينية الشيخ (الطيب الإفليسي) الذي سجنته فرنسا بسجن الحراش حتى توفي فيه، ودفن بمقبرة بالحراش سميت باسمه: (مقبرة الشيخ الطيب).

وهكذا تم إحباط هذه المناورة الكبيرة والعجيبة أيضا، التي علقت عليها فرنسا الآمال الكبار، وانكشف بانكشافها السر الغامض، الذي جعل لاكوست يتشدق بالربع ساعة الأخير أمام الرأي الفرنسي والعالمي، كمؤشر للقضاء على الثورة.

وعلى طريق هذه المؤامرة حصل جيش التحرير الوطني على كمية كبيرة من الأسلحة المختلفة التي انطلقت بها الثورة انطلاقة حاسمة قوية.

إن أهم المصادر التي كان يتزود منها جيش التحرير الوطني بالأسلحة هي الجيش الفرنسي، وأن الأسلحة التي تؤخذ منه هي التي مكنت المجاهدين من مضاعفة قوة الثورة، ولكن ما زودهم به (سوستيل) و(لاكوست) من الأسلحة في هذه المؤامرة يعتبر هدية لا أثمن منها[1]، وقد سُرَّ بها جيش التحرير جد سرور، وعرف كيف يقدر من أهداها، وذلك باستخدامها في صالح الوطن، والحرص الشديد على أن تظل نارا والعدو وقودها[2].

---

(1) لأنها جاءت بلا قتال، وفي الوقت المناسب، وكانت جيدة النوع أيضا.

(2) هنا ملاحظة هامة يجب أن أسجلها في آخر هذه الجولة، وهي أن المسؤولين الفرنسيين وعلى رأسهم (الجنرال ديغول) رئيس الجمهورية الفرنسية، كانوا يشجعون ويكافئون ممارسي التعذيب والقتل والإجرام بالجزائر.

وحسبنا من ذلك ما نشرته الجريدة الرسمية الفرنسية في عددها الصادر يوم 28 فيفري 1960 من أن جوقة الشرفة برتبة ضابط منحت لليوتنان (أندري شاربوني) الذي ينتمي للكتيبة الأولى من جنود المظلات!!

هل تدري من يكون أندري شاربوني؟

إنه كان مكلفا سنة 1957 باستنطاق المشبوهين في مركز الفرز بناحية (الأبيار) من ضواحي العاصمة، وهو الذي كان يتولى تعذيب المشبوهين، وقد رفع آنذاك كل من (هنري آلاف) والدكتور (حجاج) و(أندري كاستيل) وغيرهم كثير، شكوى إلى محكمة الجزائر لأنه عذبهم. بل أن (أندري شاربوني) لم يكتف بذلك فقط، ففي 21 جوان 1957 قتل الأستاذ موريس أودان خنقا بيديه خلال الاستنطاق.

وتصرف ديغول قد شجع الآخرين على ارتكاب الجرائم ليتحصلوا على جوقة الشرف (انظر المجاهد عدد 63 – 7 مارس 1960).

وبعد ذلك تيقن لاكوست أنه من الصعب العسير الانتصار على الثورة، وأن الشعب الجزائري بالغ هدفه مهما كانت الظروف، ولذا اضطر إلى الاعتراف في 2 / 1957 بأن الثورة الجزائرية ثورة حقيقية، وأن جبهة التحرير الوطني لها نظام، وجهاز إداري كامل على البلاد[1]. وحتى الجيش الفرنسي تغيرت نظرته إلى جيش التحرير الوطني[2].

---

(1) جاء ذلك في نشرية لاكوست السرية رقم ن، ر، 6153 / 1152 التي تحمل تاريخ 21 فيفري 1957، والتي سقطت بين أيدي جبهة التحرير، وذكرها المجاهد في عدده 15 جانفي 1958.

(2) أثبتت ذلك شهادات نشرها الصحافيون الأجانب الذين زاروا الجزائر، فهذا (الم جان دانيال) يقول في صحيفة (ليكسبريس) 1958/4/5: «والجيش الفرنسي خلافا لمصالح (لاكوست) لم يسم عدوه باسم (الثوار) وإنما يسميه (جبهة التحرير الوطني)، وهذا دليل على احترامه لهذا العدو الذي فرض نفسه».

قائمة أسماء المجاهدين الذين سلحهم سوستيل

هذه قائمة المجاهدين الذين تفضل م. سوستيل بتسليحهم وتهيئتهم لكفاح في الجبال والسهول الجزائرية وصاروا يخوضون غمار الحرب التحريرية بجانب إخوانهم تحت راية جيش التحرير الوطني المظفر.

جماعة تميزرت (عزازقة)

- حماشي أدير	رشاشة خفيفة
- عباس صلاح	بندقية حرب
- عرقوب عمار	بندقية حرب
- بوغلاج أحمد	بندقية حرب
- اكارغيب بوسعيد	بندقية حرب
- الحلل أرزقي	بندقية حرب
- عمراش السعيد	بندقية حرب
- عمراش موحند	بندقية حرب
- عمراش محمد	بندقية حرب
- آيت رمضان محمد	بندقية حرب
- بورباح مهدي	بندقية حرب
- اوبعزيز عكلى	بندقية حرب
- أوكايدا عمار	بندقية حرب
- بركوش سعيد	بندقية حرب
- اغبت محمد	رشاشة خفيفة

- الشايب محمد	بندقية حرب
- آيت رمضان محمد	بندقية حرب
- آيت رمضان محمد	بندقية حرب
- امحمدين محمد	بندقية حرب
- حميش محمد	بندقية حرب
- طنكا أحمد	بندقية حرب
- اوزير محمد	بندقية حرب
- طمضا محمد	بندقية حرب
- يوسعدين محمد	بندقية حرب
- حسن أرزقي بركان محمد	بندقية حرب
- بركان محمد	بندقية حرب
- وكان بشير	بندقية حرب
- حناشي محمد	بندقية حرب
- الشايب عقلي	بندقية حرب

جماعة ياسكرين (تكزيغت)

- بوتودج محمد	بندقية حرب
- بوتودج عمار	بندقية حرب
- بودحلو محمد	بندقية حرب
- بوديح أرزقي	بندقية حرب
- تاكزيغت أرزقي	بندقية حرب
- مواز أرزقي	بندقية حرب
- بطا عمار	بندقية حرب
- تكزيغت عمار	بندقية حرب

جماعة أيت كواريت (تكبزغ)

- سكور محمد	رشاشة خفيفة
- آيت فرحات فرحات	بندقية حرب
- امكود عكلي	بندقية حرب
- عزور محمد	بندقية حرب
- اورحلال محمد	بندقية حرب
- أوبعزيز سعيد	بندقية حرب
- نويت أع أرزقي	بندقية حرب
- أورحلال بوجمعة	بندقية حرب
- أوبعزيز محمد	بندقية حرب
- نويت أع أرزقي	بندقية حرب
- آيت رمضان محمد	بندقية حرب
- امقوس أحمد	بندقية حرب
- محدين سعيد	بندقية حرب
- سايح محمد	رشاشة خفيفة
- حوماسي قاسي	بندقية حرب
- حوماسي محمد	بندقية حرب
- حوماسي ادير	بندقية حرب
- سايح رمضان	بندقية حرب
- قنسي سعيد رباح	بندقية حرب
- بلعيد محمد	بندقية حرب
- حوناسي عمر	بندقية حرب
- مزوك محمد	بندقية حرب
- سايح رباح	بندقية حرب

جماعة مكوده (تكزيرت)

- حسني عكلي — رشاشة خفيفة
- عويسى أحمد — بندقية حرب
- فضيل أرزقي — بندقية حرب
- لكحل أحمد — بندقية حرب
- لكحل أحمد — بندقية حرب
- يوسفي أحمد — بندقية حرب
- ادير محمد — بندقية حرب
- ابن زياد محمد — بندقية حرب

جماعة تلاتكانه (تكزيرت)

- بوعقوب عمار — رشاشة خفيفة
- اكنسوق محمد — بندقية حرب
- هني فرحات — بندقية حرب
- قسيوى عمار — بندقية حرب
- ياحي بلعيد — بندقية حرب
- ابسعين ملود — بندقية حرب
- امهني علي — بندقية حرب
- عدي امحاند — بندقية حرب

جماعة أذرار (دوار مزغنة تكزيرت)

- بو لوناس — رشاشة حرب
- كموري السعيد — بندقية حرب
- اورمضان محمد — بندقية حرب

- اورمضان سعيد بن حمار	بندقية حرب
- اورمضان سعيد بن حمار	بندقية حرب
- اوواعنوق سعيد	بندقية حرب
- اوواعنوق ادير	بندقية حرب
- اووعنوق عمرة	بندقية حرب
- امهانك أحمد	بندقية حرب
- سعماني رمضان	بندقية حرب
- علبان مو ملود	بندقية حرب
- حد جبار محند	بندقية حرب

جماعة تقصبت افلسان (تكزيرت)

- زنيو محمد	رشاشة خفيفة
- سمان محمد	بندقية حرب
- تبلغاى محمد	بندقية حرب
- تزونبي أرزقي	بندقية حرب
- بوعنو عمار	بندقية حرب
- كنكوس علي	بندقية حرب
- بوراشدين عمر	بندقية حرب
- زنيا لوناس	بندقية حرب
- عوزنيا ملود	بندقية حرب
- عوزنوا سعيد	بندقية حرب
- اكودجيل محمد	بندقية حرب
- ادجاود أرزقي	بندقية حرب

جماعة أكسغالن (إفلسان)

- بورتي محمد — بندقية حرب
- بودرار محمد — بندقية حرب
- بوشراب محمد — بندقية حرب
- اكغنللا محمد — بندقية حرب
- اكغنلالا محمد بن سعيد — بندقية حرب
- بوشراب عمار — بندقية حرب
- انزلان سعيد — بندقية حرب
- بوشراب محمد — بندقية حرب
- اكغنلالا سعيد بن علي — بندقية حرب
- مزا محمد — بندقية حرب
- انزتنا محمد — بندقية حرب
- بوزرق محمد — بندقية حرب
- تكزبغت محمد — بندقية حرب
- شلالا سعيد — بندقية حرب

جماعة اكغالن (بوركيدون)

- ارطومي عمار — رشاشة خفيفة
- امساتن محمد — بندقية حرب
- وسلام محمد — بندقية حرب
- أزغول علي — بندقية حرب
- بوشاع أحمد — بندقية حرب
- اكربوغني علي — بندقية حرب

- كسوموسى أحمد	بندقية حرب
- عونا ادير	بندقية حرب
- غلاب عمار	بندقية حرب
- توغنبس محمد	بندقية حرب
- اشلاطا أحمد	بندقية حرب
- تمايل محمد	بندقية حرب
- اكعلالا ملود	بندقية حرب
- امزتيغ محمد	بندقية حرب
- امزتيغ سعيد	بندقية حرب
- كرسوموسى سعيد	بندقية حرب
- بوسلان سعيد	بندقية حرب
- نورتيس سعيد	بندقية حرب
- تبرنين سعيد	بندقية حرب
- غمولب علي	بندقية حرب
- عونه عمار	بندقية حرب
- تورتيس أدير	بندقية حرب
- رجامه محمد	بندقية حرب

جماعة جماد شاتر (ابور كيدوا)

- حماد محمد	رشاشة خفيفة
- عسكري علي	بندقية حرب
- عبه رابح	بندقية حرب
- بوجمر اكلي	بندقية حرب

- كرتوشنت سعيد	بندقية حرب
- ابكرالى محمد	بندقية حرب
- زروقي طاهر	بندقية حرب
- جيلاني أرزقي	بندقية حرب
- عبدرن آكلي	بندقية حرب
- شريفي سعيد	بندقية حرب
- فراد محمد شريف	بندقية حرب

جماعة اشنوشن (بوركيدون)

- بونكار أرزقي	رشاشة خفيفة
- ابن حامر محمد	بندقية حرب
- كيرى سعيد	بندقية حرب
- برقاوى مقران	بندقية حرب
- اسلايفن عمار	بندقية حرب
- تكزيغيا سعيد	بندقية حرب
- بركاني محمد	بندقية حرب
- كيرى سعيد بن محمد	بندقية حرب

جماعة شرفة (بوركيدون)

- مرسلي السعيد	بندقية حرب
- بلودى سعيد	بندقية حرب
- هاشمي محمد	بندقية حرب
- صابى محمد	بندقية حرب
- صبنى محمد	بندقية حرب

- دمير سعيد	بندقية حرب
- وردي محمد	بندقية حرب
- سادو علي	بندقية حرب

جماعة تاوريرت (بوركيدون)

- ملاحنوش محمد	رشاشة خفيفة
- مغزى قاسي	بندقية حرب
- كوبريد سعيد	بندقية حرب
- اكنيون محمد	بندقية حرب
- تغرتد سعيد	بندقية حرب
- ابن منصور محمد	بندقية حرب
- فوشان مقران	بندقية حرب
- عوين سعيد	بندقية حرب
- حداد محمد	بندقية حرب
- يومان آكلي	بندقية حرب
- زبوج آكلي	بندقية حرب
- مجيبة محمد	بندقية حرب
- أوكروج محمد	بندقية حرب

جماعة اغيل بوسول (بوركيدون)

- مغزيفن بوجمعة	رشاشة خفيفة
- مغزيفن محمد	بندقية حرب
- خربائش محمد	بندقية حرب
- مغزى محمد	بندقية حرب

- اكادير محمد بندقية حرب
- رامول محمد بندقية حرب
- تامليت سعيد بندقية حرب
- رامول محمد بن عمار بندقية حرب
- عبد القادر محمد بن آرزقي بندقية حرب
- تيلوته محمد بندقية حرب
- عبد القادر محمد بن محمد بندقية حرب
- مجيبو محمد بندقية حرب
- عبلاني علي بندقية حرب
- علمانه عمار بندقية حرب
- ونوش أحمد بندقية حرب
- أكادير محمد بن محمد بندقية حرب

جماعة آيت معمر (بوركيدون)

- امترا كورام محمد رشاشة خفيفة
- امترا كورام عمار بندقية حرب
- تلولت عمار بندقية حرب
- بوتلنج محمد بندقية حرب
- ابزبزن محمد بندقية حرب
- اوجبور سعيد بندقية حرب
- مغاسوري لوناس بندقية حرب
- يكاميمن محمد بندقية حرب
- طراحي صالح بندقية حرب

- اقرمودن أرزقي — بندقية حرب
- تنطار سعيد — بندقية حرب
- لازرغن محمد — بندقية حرب
- اقرمودن محمد — بندقية حرب
- اقلالز رابح — بندقية حرب
- عمران زغوارن محمد — بندقية حرب

جماعة بلدة آيت معمر (بوركيدون)

- مغروس الطاهر — رشاشة خفيفة
- مغروس محمد — بندقية حرب
- تيعلت فرحات — بندقية حرب
- تيعليت محمد — بندقية حرب
- وضيف سعيد — بندقية حرب
- وصيف محمد — بندقية حرب
- آيت سليمان — بندقية حرب
- نوكاوة محمد — بندقية حرب

جماعة أيت الاحسن (تيزي وزو)

- عياب حسن — رشاشة خفيفة
- عمور عمار — رشاشة خفيفة
- مولى محمد — بندقية حرب
- شوشي سعيد — بندقية حرب
- سيدي معمر سي محمد — بندقية حرب

جماعة أكنجور بني تمنزغ (تيزي وزو)

- عينوان محمد	رشاشة خفيفة
- ميمون لوناس	بندقية حرب
- معشه محمد	بندقية حرب
ميمون أحمد	بندقية حرب
سلاماني سعيد	بندقية حرب
العماري سالم	بندقية حرب
- سومر محمد	بندقية حرب
- حيمدسى عمار	بندقية حرب
- بوجمعة عشور	بندقية حرب
- عمارى آكلي	بندقية حرب
- لونيس علي	بندقية حرب
- بونوار محمد	بندقية حرب
- نبالى علي	بندقية حرب
- ايبكانز عمار	بندقية حرب
- وشن رزقي	بندقية حرب
- عمورى علي	بندقية حرب
- يوسفى محمد	بندقية حرب
- هلال محمد	بندقية حرب

جماعة آيت عمران وآيت ونيش (تيزي وزو)

- بلحاج محمد	رشاشة خفيفة
- مخلوف سعيد	رشاشة خفيفة
- مخلوف علي	بندقية حرب

- تيلولت سعيد	بندقية حرب
- امالو محمد	بندقية حرب
- شيخي محمد	بندقية حرب
- حدادن محمد	بندقية حرب
- حدادن أحمد	بندقية حرب
- لوناس حسين	بندقية حرب
- لوناس علي	بندقية حرب

جماعة بوحينون (تيزى وزو)

- سمادى أحمد	بندقية حرب
- ابن رمضان سالم	بندقية حرب
- حمادو أحمد	بندقية حرب
- قادة رزقي	بندقية حرب
قادة بلقاسم	بندقية حرب

جماعة اغيال نال (تيزي وزو)

- زواوى محمد	بندقية حرب
- كحيل بلقاسم	بندقية حرب
- قاسى أحمد	بندقية حرب
- رزقي محمد	بندقية حرب
- بارش محمد	بندقية حرب

هذا وقد تتساءل -عزيزي القارئ- بعد هذه الجولة في عالم التضليل والمؤامرات، وبعد الوقفة الطويلة التي وقفناها عند (العصفور الأزرق) - عن مصير (الصديقين الحميمين - العدوين الألدين) في آن واحد: (أحمد أزايد) و(الرجل الخائن) اللذين لولاهما ما كان (للعصفور الأزرق) وجود، ولا ما مكان لثورة التحرير تلك الهدية الثمينة التي لا تقدر، ولما خط القلم كلمة من هذه الكلمات التي نرجو أن نكون قد وفينا بها بعض الوفاء للتاريخ ولمن شاركوا في (المؤامرة) إيجابا وسلبا، فللإيجابي فضله وشرفه. وثوابه عند الله، وللسلبي خزيه وعاره وحسابه عند ربه؟

أجل تتساءل عنهما وتحب أن تعرف مصيرهما، والواقع أن مصيرهما بيّن من سلوكهما، وواضح من عملهما، كما تتضح النتائج من المقدمات، والغايات من البدايات، فأحمد أزايد مات شهيدا وعلى ثغره بسمة الرضا والاطمئنان، ولسان حاله يقول:

أنا إن ذهبت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح

واحمل سلاحي لا يخفك دمي يسيل من السلاح

وانظر إلى شفتي أطبقتا على هوج الرياح

وانظر إلى عيني أغمضتا على نور الصباح

أنا لم أمت، أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح

أما (الرجل الخائن) الذي غره الشيطان فجنده في جيشه، ليحارب بني جنسه، فقد أعدمته الثورة... ومات ولسان حاله ينشد قول المتنبي:

ما كل ما يتمناه المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

الخاتمة

هكذا -قارئي العزيز- ظلت فرنسا تبذل قصارى جهدها منذ أول نوفمبر سنة 1954 للقضاء على ثورة التحرير بكل ما تملك من قوة، وبكل ما لدهاة سياستها من ذكاء، ونبوغ، وعبقرية، وبكل ما وراءها من دول تمد بالعتاد، وتظاهر وتعطف، ولا تكاد إذاعتها ولا صحافتها تفتر ساعة عن مساندتها.

لكن الثورة العملاقة التي اندلعت باسم الله، ومن أجل أن ينتصر الحق على الباطل، ويتنفس الصبح بعد الليل الطويل، وتتهيأ للوطن المظلوم أسباب القوة ليصنع الحياة - كانت على الدوام إزاء الحرب (المادية) و(النفسية) تحسن أساليبها، وتنظم صفوفها، وتوسع ميادينها، وتطور تخطيطها، وتزحف في طريقها من نصر إلى نصر، هازئة بمزاعم المسؤولين الفرنسيين، ساخرة بمناوراتهم ،مغالطاتهم حتى انتصرت، واستفاض الضوء، واستبان الطريق، وارتفع شأن الأمة، وكأنما انبثقت في النفوس لأول مرة مشاعر العزة والحمية، فكل امرئ يحس بوجوده فوق أرضه، ويفخر بإرادته في وطنه.

والذي سيظل على الدوام يثير الإعجاب والفخار، وفي نفس الوقت يثير العجب والدهشة، هو أن كل القوى العسكرية التي جندتها فرنسا، وكل الحيل والعبقريات التي أعدتها لتضليل الجزائريين، وكل المساندات والمؤازرات التي تلقتها فرنسا من حلفائها من أجل تحطيم الثورة كان مصيرها الفشل والهزيمة والدمار.

هل هذا ممكن؟

- قرابة المليون من الجنود الفرنسيين بعنادهم الجهنمي المتنوع...
- حلف شمال الأطلسي بالسلاح والعتاد والمال...

- خمسمائة مليون من الناس يؤازرون بالتعصب والهوى والرأي.

- دهاة في السياسة، يخططون، يبرمجون، ويفلسفون...

- عباقرة في فن التضليل، والتدليس، والمغالطة، يزورون، ويكذبون، ويكيدون.

كل هذا وأكثر من هذا أعد وجند لمحاربة جيش التحرير من الثوار حلهم لا يقرأون ولا يكتبون وأغلبهم ببنادق الصيد يحاربون، ومع ذلك انتصر هؤلاء وانهزم أولائك، وذهبت كل قواهم، وكل خططهم وبرامجهم، وكل اكاذيبهم ومؤامراتهم أدراج الرياح.

هل هذا ممكن؟

إنه في لغة العلم غير ممكن..

فلو أن أحدا قص هذه القصة بفصولها، وخطوطها، وبمقدماتها، ونتائجها، -على عالم لا يحكم على النتائج إلا حسب مقدماتها، لانكر النتائج وحسبها حلما أو وهما، ولعد من يؤمن بها ويصدق، من البسطاء السطحيين، والواهمين الخياليين.

ولكنها الحقيقة:

- الحقيقة التي يصنعها الصبر، والإيمان الراسخ، والتضحية والفدائية و(الوحدة الوطنية).

- الحقيقة التي تبنيها الجماجم والأشلاء، والدماء والدموع، والآلام والأحزان.

- الحقيقة التي تفجرها العزيمة التي لا تلين، والحركة التي لا تفتر، والزحف الذي لا يقف.

إن التضحيات الجسيمة التي بذلها الشعب الجزائري بسخاء، أنقذت الجزائر[1] وطهرتها نهائيا من المحتلين المتطفلين الذين رتعوا في مرعاها الخصيب ثلاثين ومائة سنة، وحسبوا أنها ملك لهم يرثها الأبناء عن الآباء إلى يوم الدين.

أما الدماء العزيزة التي أريقت، والديار العزيزة التي دمرت، والأعراض الغالية التي انتهكت، فإنها ضريبة المجد، ووثيقة الحرية (وما ضاعت خسارة حررت وطنا، ولا اهدر دم أحيا أمة).

محمد الصالح الصديق
القبة الجزائر في 1408/08/26هـ
الموافق لـ 1988/04/13 م

---

(1) لم يكن شهداء الجزائر المليون ونصف مليون فداء استقلال الجزائر فحسب، بل دعموا استقلال تونس والمغرب الذي كان وهميا، وأجبروا فرنسا على أن (تمنح) الاستقلال للدول الإفريقية التي منها، الكامرون، والسنيغال، والنيجر، وموريطانيا، وتشاد، ومالي، وفولتا العليا، ثم جزر القمر، وجيبوتي، وساحل العاج، إلخ...

الملاحـق

اقرأ هذا قبل الملاحق

بقلم المؤلف

يتقاضانا المقام، والأمانة العلمية، أن نقدم ملاحظات هامة قبل هذه الملاحق:

أولها: أن الحاجة إلى هذه الملاحق تكمن في أن بعضها يزيد (العملية) وضوحا وتأكيدا، وبعضها الآخر يدحض تشكيك الذين لم يستسيغوا تفوق قادة الثورة الجزائرية، على قادة فرنسا في هذه العملية، وصعُب عليهم أن يصدقوا أن أولئك قد ضحكوا على أذقان هؤلاء، إذ حوّلوا تدبيرهم إلى تدميرهم، فهم بحكم فقرهم من الوطنية، وانبهارهم بقوة فرنسا وعظمتها، لا يستطيعون أن يؤمنوا بأن جماعة من (الخارجين عن القانون) يقدرون على ما نسب إليهم، حتى إن بعضهم ذهب -فيما خرْبش بقلمه العاثر- إلى أنها محض افتراء ونسْج خيال، أُريد به التبوّؤ في صدارة التاريخ!

ثانيها: معلوماتنا عن هذه العملية (العصفور الأزرق) هي الصحيحة، لأننا استقيناها من مصادرها الصحيحة: من الرجال الذين كانوا وراء العملية بالتدبير والتخطيط، أو بالإدارة والتسيير، وهم هؤلاء السادة الأبطال: كريم بلقاسم، ومحمدي السعيد، ومحمد إعزورن، المعروف في منطقة القبائل بـ (بريروش)، عقدنا معهم جلسات، وتحدثنا معهم في راحة وهدوء وتفصيل!

ولو وقعت هذه العملية عند غيرنا ممن يقدّرون الأحداث التاريخية، ويوظفونها في إثارة الجماعات وقيادتها، ويستغلونها في الدعاية، لكان لهم فيها وبها شأن وأي شأن!

وقد ذكرتها مرات عديدة في مجالس ولقاءات مع أهل الفكر والقلم في تونس، وليبيا، ومصر، ولبنان، والسعودية، والأردن، والكويت، فهالهم أمرها، وعجبوا أن لم تؤلف عنها كتب وروايات ومسرحيات!

ولعلَّ أعجب من هذا أن جلَّ المجاهدين -عدا مجاهدي الولاية الثالثة- لا يسمعون بها، وإن سمعوا بها فهم لا يعرفون صورتها الحقيقية، أما الأساتذة وطلاب العلم على اختلاف طبقاتهم فقلَّ من سمعها منهم، وليس هذا من المبالغة في شيء، وإنما الواقع الذي نعيشه هو الذي حدانا إلى هذا القول!

وإقبال القراء باللغتين العربية والفرنسية على كتابنا وإلحاحهم على إعادة طبعته باللغتين، لدليل على أهمية العملية، والرغبة في معرفتها، وقد عملنا -جاهدين- على تحقيق رغباتهم، وكلُّنا أمل في الله تعالى أن يسدِّد خطانا، ويوفِّقنا لخدمة وطننا، فهو مولانا من وراء قصدنا، وإليه عاقبة الأمور!

عملية العصفور الأزرق أو القضية الهامة

كتيب «العصفور الأزرق» والتصغير للتلميح أو للتعظيم لا للتحقير، صغير الجسم، كثير الفائدة والعلم لا يستغني عنه وطني ثائر.

إنه ثمرة شهية من أحدث ما أنتجه قلم الأستاذ الكتوب (محمد الصالح الصديق) حفظه الله، والأستاذ من كتابنا المتقنين المكثرين، يجيد إذا كتب في شؤون الدين أو بين الآيات من القرآن المبين، أو جال بنا في رياض الأدب، أو اقتحم بنا ميادين السياسة والاجتماع، أو رجع بنا إلى أحقاب التاريخ القديم وخبايا التاريخ الحديث، وآثاره شاهدة في كل هذه الميادين بالحق على المدعي، لو وجد من ينكر: تلك آثارنا تدل علينا، لكنه أشد تواضعا من كل دعوى، وأرى أن سبب نجاحه في ميدان التأليف أنه متين التحصيل، متمكن أمكن في العربية، صحيح التدين راسخ الإيمان، سليم الوطنية، عالم بما يقول قادر على القول، بعد أن اتسع له المجال، ويظهر لي أنه اكتسب كثيرا من أستاذه العظيم الشيخ أرزقي الشرفاوي الأزهري رحمه الله، وقد كان يربض بجبال زواوة قائما بتخريج الرجال مع مشاركته في عمل رجال جمعية العلماء، وكان في تلك الجبال المباركة معا هو علم زاخرة بكبار العلماء المتواضعين وإن عظم تحصيلهم فإذا شرق منهم أو من تلميذهم مشرق، أو غرب مغرب ذهب للاجتماع بعلماء الناس بعلم وافر، وخلق باهر، وعرض طاهر، فاستزاد مما عندهم، وأفادهم بما عنده فأخذ وأعطى، ولا يذهب ليتعلم المرشد المعين والأجرومية كما كان يقول شيخنا التبسي رحمه الله.

أما تفاصيل هذه العملية، التي ابتدأت مع سوستبل ثم أورثها لاكوست فإني أفضل أن يرجع إليها القراء في نفس الكتاب فإنه لا يروي غليلهم إلا منه، فليرجعوا إليها برواية أبطالها.

ولكني أشهد للمؤلف بالبراعة والمهارة في تقديم القصة الواقعية للقراء فقد أجاد وأفاد بل أبدع بما قدمه أمام موضوعه كي يصل إلى أحداثه حتى يكون القارئ على بيّنة تامة من الثورة الجزائرية وأغراضها ورجالها فهذا تمهيد نفسي في مقدمة المؤلف منه تعرف شخصية المؤلف وتستشف إحساسه الصادق وحكمه الصائب يأتي بعده ميثاق الثورة، والأهداف الداخلية، والخارجية، ووسائل الكفاح، والإعلان على رغبة الجزائر الحقيقية في السلم والحرص على حياة الأفراد والجماعات وحقن الدماء والشروط الضرورية للتوصل إلى السلام الحقيقي، فهذا الميثاق العظيم الذي وضعه الثوار ليلة إشعال نار الثورة ينبغي أن يكون عند كل جزائري من النساء والرجال لتحقيقه أولا، ولأنه يشرف الجزائر ويرفع رأسها، وبعد هذا الميثاق ذكر المؤلف المبادئ العشرة لجيش التحرير، ثم نص رسالة من جيش التحرير الوطني إلى الجيش الفرنسي، وقد حملها منه إلى جيشه أسير فرنسي أطلق سراحه في شهر رمضان 1956 بعد ذلك ذكر المؤلف تحية المجاهد ثم عرب تصريحات فرنسية حول حرب الهند الصينية الفرنسية وحول حرب الجزائر.

ثم تكلم عن ثورة الجزائر الخالدة، وسيرها المستمر وكفاءة رجالها بشهادات السياسيين والصحافيين الاجانب، ثم عقد فصلا للمؤتمرات والتضليلات، يحاربنا بها الأعداء ثم كشف المؤلف (دار سوستبل) وأعمالها الإعلامية لحرب الجزائر واستعمالها لاسم بعض الجزائريين لم يتورعوا أن يكونوا متعاونين مع العدو، ولا تنتهي هذه المقدمات إلا وقد

بلغنا صفحة 40 ويبتدئ الكلام على العصفور الأزرق في صفحة 41 لينتهي في صفحة 69 فإذا انتهى القارئ من الكتاب اقتنع أنه وصل إلى الغرض الذي أراده المؤلف ولم يندم على أي شيء مما بذل.

وأفاد الكتاب أن الذين جندوا لهذه العملية كانوا 600 منهم نحو النصف (283) ذكرهم المؤلف بأسمائهم وأسماء قبائلهم وجهاتهم ونوع السلاح الذي أعطي لهم من طرف العدو وكان رئيسهم بدرجة عقيد وهو المرحوم (إعزورن محمد) وهو من خيرة رجال ثورتنا، وفي نظري أن هذا الإعلان عن الأسماء وأنواع السلاح والقائد المعروف أكبر تحد لمنكرها مهما كانت درجته ودرجة إنكاره على أن المراجع التي ذكرها المؤلف لا تقبل النقاش:

1) المقاومة الجزائرية، لسنتي 56 - 1957.

2) المجاهد لسنوات 57، 58، 59، 1960.

3) شهادات مروية عن أكبر المسؤولين العسكريين منهم كريم بلقاسم رحمه الله وإعزورن ومحمدي السعيد وعمر وأحمد أوزايد الشقيقين.

4) تقرير ولاية تيزي وزو المقدم للملتقى الوطني 1984.

والعملية في ذاتها لا يجهلها أحد كان يعيش بالوطن منذ تم الكشف عنها سنة 1956 وإنما تجهل تفاصيلها وقد دبرت لقصد إخماد الثورة وكان لاكوست يعلق عليها آمال فرنسا ويحسب نفسه أنه على وشك تحقيق غرضه ولذلك كان يزعم للعالم ولدولته وللمعمرين بالجزائر أنه في (الربع الساعة الأخير!). ولو كان يملك أدنى قدر من الرجولة والشهامة لانسحب من الميدان بمجرد انكشافها، ومثله سلفه (سوستيل) لكنهما كانا عميلين خائنين لمبادئ شعبها وبقيا محاربين كائدين للجزائر حتى بعد استقلالها.

الأخيرة للاكوست.. اما أن يصدر إنكار وتشكيك لهذه المفخرة من سنة 1990 فهذه (جعجعة) يتيمة وغير سليمة، وهذا أقل ما توصف به، وأما اعتبار (المنظمة) -حركة وخيانة- فهذا أحط ما سمع، وما كتب في حق الثورة، وأنه من الخساسة بمكان أن تصل بنا السقطة إلى هذا المستوى. ولهذا أرفع القلم، والتمس من المشرف على المنبر نشر هذا الرد توضيحا للقارئ الكريم أكثر مما هو رد على صاحبه وبكل مسؤولية أقول: حركة لكن لو قدر للوطن أن يتوافر في كل ربوعه على أمثالهم لما عمرت الحرب سبع سنوات ونصف... وكل كلام الحاسدين هواء...

حركة - ولكنهم ليسوا من حزبك.. ولا من معدنك.. وهذا في حد ذاته شهادة شرف نعتز بها (أن نكون حركة من قاموسك) شهادة اقتضتها مني أمانة الارتباط يوما بهم ذات خريف 1957. وليست مجرد جعجعة - وللقارئ الكريم أقدم المجاهد رقم 03 (المقاومة) الصادر قبل 30 أوت 1957، صفحات 33 حتى 40... طبعة وزارة الإعلام 1984 الجزء الأول... وقد أورد حقائق عن منظمة (العصفور الأزرق) وبالقوائم التي تعد أكثر من 250 مجاهد... وقد عرفت العملية بالربع ساعة الأخير... (لاكوست) وكفى بشهادة الشهيد شاهدا... وحتى هؤلاء فقد تطاول عليهم المناضل الذي أحسن التصفيق في اجتماعات نضالية.. ذات يوم، وجاء اليوم بثوب المكفر عن ذنب اقترفه، وعن نفاق الزقه شعورا بالعار.. والحمد لله... وهو الشاهد على نفسه، وقد كتب أنه صفق وصفق... فكان من حقيقته من المحسوبين على الجبهة المسكينة التي (حمت) من 1976 وفي 1988 فتخلصت من الجراثيم التي كادت تقضي عليها من الداخل لولا فضل الله ورحمته عليها...

وحتى لا أنزل إلى مستوى التعابير (اللطيفة) التي استعملها بعربيته الثورية التي نحت من درج الأرشيف... أفضّل فقط غسل قلمي من أي (حعحع) وأقول: اتق الله يا رجل! والتزم حدا!.. وأعرف قدرك!. وكن ابن من شئت، فأنت من أولئك الذين يحملون الأحقاد في دمائهم وفي خلايا أمخاخهم... وهذه هي التي تجعلك لا ترعى حرمة للشهيد، ولا للمجاهد ولا للثورة ورموزها، وترتب كل ذلك في أسلوب مشحون بمصطلحات، لا رواج لها إلا عند الأخصائيين -النفسانيين-.

نحن نعرف الذين نعتهم بالمتسربين المتسللين (في الثورة والاستقلال) إنهم أسيادك بالأمس وأسيادك بحكم الشهادة اليوم وغدا وبعد ألف ألف عام... ولأنهم ليسوا معقّدين بحمى الحقد الدفين... بل وأي حقد على الإطلاق... قبل 1954 وبعد 1962 وحتى في عهد الثورة الديمقراطية التي يشبه وضع أمثالك معها وضع الفئة الضالة التي دعت الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء... فلما استجاب الرب دعاءهم... تركوا صنيعهم بالمائدة بعد الشباع. فحولهم الله إلى قردة خاسئين – وها هي الديمقراطية ترفع (النقاب) كل يوم على أشكال هؤلاء.. فها هم عراة أمام الشعب، وكلما استهدفوا التاريخ الذي كتب بالدم، بل كلما دنوا من نار ونور الله الموقدة -الشهيد- وكلما نسوا أن للبيت رب يحميه... حتى وإن ترفّع المجاهدون (بشهادة جهاد طهرتهم)، يمنعهم إباؤهم كشف الأوراق. أو السقوط إلى تهاوي الوضاعة.. مستوى الذين ينعتون من صدقوا ما عاهدوا الله عليه (بالحركة)... والمنظمة (الخيانة) ومع تقديسي للرجل الذي قال يوم: نحن لا ننجر إلى معارك الصغار.. أقول: إن الذين عنيتهم.. هم قادتنا،

ورواد كفاحنا، ومن بلدنا (الشهيد) والحي منهم، من يوم الدين إلى يوم الناس هذا)...

- إنهم رواد كفاحنا وتاريخنا الوطني، الذي بنيت منه موقفا صريحا فضيحا. ألعن من موقف بيجار، وكل عناصر وآي الدمار... ولغتك هذه ألفناها، ولا يرد عليها، لسبب وجيه... لأنها صادرة عمن صفق بالأمس واستلَّ الخنجر اليوم - بنعوت وقذف وتجريح وتشنيع وإنكار لا تصدر كلها إلا ممن قلبه مريض ونفسه (عنكبوتية)..

لكنني تقديسا لحق القارئ، ورعاية لحرمة القلم، وهذا الضاد المشترك بيننا، ها أنا أدلو بدلوي، مغايرا لدلوك، وأقول: إنني صفقت (عكسك) في جبهة الثوار والأحرار.. ولم أندم على موقف اتخذته، ولا على كلمة قمت بها، وأكثر من ذلك كله، إنني لفخور بكل دور قمت به في الجبهة أو محيطها - زمانا ومكانا - وأكرر أنني معتز إلى حد الغرور... وهذا موجه فقط للذين كانوا وصمة عار على الجبهة.. وهم يعرفون أنفسهم، ويعرفون أن الشعب يعرفهم، وحتى المعارضة الوفية لمنهج (المعارضة) تلفظهم، ولا تتشرف بحشودهم غير المنابر الخلفية للزوايا الحالكة...

ونحن كنا نستمر بالالتزام، ونصوم بالنزاهة، ونفطر بالكفاءة.. فهذا منبري، لكنه ليس هو بالتأكيد نفس المنبر الذي اعتليته.. ذات يوم.. فالعربات متعددة حتى بقاطرة واحدة... يا صديق المجاهدين والشهداء ومتقيئ القراءات السبع بكل الوجوه والأقنعة.. ولا غرابة في الأمور، فالناس معادن، وبالأخص معدنك المعلن عنه بجولات قلمك... ولهذا المعنى يصدق الحديث الشريف: «أخوف ما أخاف على أمتي، رجل

سليم اللسان، يجادل بالقرآن...» وجعجعتك من هذا المعدن... ولله في خلقه شؤون، وكان الله في عون وطن يمكّن المؤلفة قلوبهم من محرات القلم الرفيع..

أما عن سؤالك لماذا نكذب؟.. ولماذا نواصل الكذب؟ فإن الجواب واضح لدى ذوي الأذهان الخلص، لأن الدنيا مليئة بالذين يقلبون (الفيستة) أمثال جنود علي.. قلوبهم معه وسيوفهم خلف ظهره.. تماما كما فعل أشباه المناضلين مع الجبهة.. ولا تعتقد يا رجل أنني أرد عليك بشيء من عندي هنا. فلقد كفيتني مشقة ذلك.. ومن تعابيرك، من حياطتك الأبيض بالأسود، والراتي بالبالي، والخرقة بالمزلق، أو لم تكتب؟.. إن الكاذب لا يصدق وهو يصدق... فكيف تريد غيرك (مهما كان الغير) وحتى الأبناء والجيل الصاعد.. يعرفك وأنت تصفق، وتنقنق؟.

وفي همزك للتاريخ بودي أن أسأل أي تاريخ تعني؟ وتاريخ من؟.. وصحيح أننا جزائريون جميعا، لكن الأصح أن لكل تاريخ. فهناك من ينكر أن تاريخ الجزائر بعد انطلاق قافلة نوفمبر 1954.. وهناك من ينكر حتى وجود هذا التاريخ إطلاقا مثلك، وقد رأيته صناعة أناس (مقاسا).. فهي تعابيرك، فأنت هنا كما قال الشاعر:

كذلك الذي يبغي على الناس ظلما　　　نصبه على رغم عواقب ما صنع

أما عن الكتاب الذين كتبوه؟. فأي كتاب تعني؟.

وهل تعني الذين أشرت إليهم؟ نحن نعرفهم، قرأنا لهم أو تتلمذنا عليهم، وأقل الوفاء وعلامات الإيمان الضعيف، أن نفتخر بما كتبوا - لأنه صدق ما عاينوا - فهم فوق مستوى تجريح متطفل.. لا يحسن حتى خبوط الحروف الهجائية.. وهنا أيضا يظل الحال أحوج إلى موقف منه

إلى كلام أو مجرد تركيب سادي من نوع (... القرية) إنني مع هؤلاء الكتاب في (كذبهم) فلا أشرقت علي شمس يوم أفاضل فيه بينهم وبين أمثال الصادقين بصدقك (الجبهوي) وبصراحة أعلن أن كذبهم عندي لاقدس من توبة تتلوها بعض الشفاه صفراء بتراء عن وهج القلب.. ثم أن القداسة حقا أنهم كتبوا ما صنعوا، وبعثوا لأمثالك بلدا وقرارا من العدم... أما ما أوردته من كلام (معقد) عن المجاهد فيكفي أن أحولك إلى مقولة المغفور له المتنبي:

إذا أتتك مذمتي من... والبقية أقسم أنك لمجترها وحدك... وإن الأنفة لتحول دوني ودون التعابير (الرخيصة) في لغة الهوارية.. وبودي فقط أن أؤكد أن القافلة تسير «والله متم نوره ولو كره المشركون».

وهذا يعني أن المجاهد -عفو غفور- لكل المارقين والمزيفين للحقائق عن جهالة، وتطاول، فقد وضعت نفسك في المرتبة الثالثة من الناس، أولئك الذين يقحمون أنفسهم في متاهة الجهالة - وعن جهل مغلق - وأقول لك فقط كما قال الشاعر:

حلف الزمان ليأتيني بمثلــه حنثت يمينك يا زمان فكفــر

هذا وقد تمثلت لك كل الحجب الثلاثة: الغيرة، الحيرة، الغفلة... وكلما تعلق الأمر بالإلحاد والكفر بكلما هو تاريخ ورموز وعظمة نوفمبر.. وكلما أصر (المتجعجعون) على اصطناعه، ونكرانه حتى يستغلون للاستدلال على ذلك اي الفرقان... وهكذا نقول لهم: حسبنا الله ونعم الوكيل... وحسبنا أن هذا التاريخ موجود وأول حروفه -العلم ، الاستقلال، الشهداء- الذين أنكرتهم حتى وهم يعودون كل أسبوع وكل يوم وكل لحظة.

ومهما كبر مقت، فلن يعظم على نكران المليون ونصف المليون!
ومهما ثبت جرم فلن يربو المساس بالشهيد حتى الذين ذبحوا.. وأسالك فقط، عن فئة واحدة... هلا سألت أسيادك عنهم؟.. إنهم الأربعة والثمانون شهيدا (فليسة) الذين ذبحوا من طرف بني جلدتهم.. وأنت تعرفهم، وكفرك بذلك عضة وانصياعا ورحم الله من عرف قدره..

وأما عن الملايير، فلسنا نرى ما تتقوله والحمد لله، فقد قطع رئيس الحكومة الطريق أمام كل مساوم، مزايد، وبالأخص منهم من ناضل في صفوف الجبهة يوما ثم فضّل خندق الردة.. فهل يأمن أصحاب الخندق من ردة مؤكدة؟ فهل يحوي قاموس المدرسة الأساسية مصطلحات لهؤلاء وأولئك وآخرون، لم ولن يثنوا القافلة ولا النهر عن المسير.

تنبيه: لقد أرسلت نسخة من هذا الرد إلى المنظمة الوطنية للمجاهدين بتيزي وزو، حتى لا آتي تجاوزا، والكلمة مسؤوليتي وموقفي الشخصي أما كلمتها فيبدو أن اعتبارات أرفع تتطلب منها التريث والطرف المؤهل.

عزازقة موطن الرواد الأوائل لمنظمة العصفور الأزرق في 14 أفريل 1990

أحمد ساحي - أستاذ ثانوي

ليس بعشك فادرجي
رد على موضوع «عفا الله عما سلف»
لصاحبه «عمران جعجاع»

إن عملية العصفور الأزرق التي أرّخ لها الأستاذ الكبير محمد الصالح الصديق عملية معقدة ومثيرة، هي من الأهمية بمكان، لقد أنشأ تنظيمها السري الحاكم العام: «جاك سوستال» في بلاد القبائل لضرب الثورة من الداخل، وإخماد جذوتها المتأججة بذكاء كبير، غير أن تدبيرا معاكسا أكثر ذكاء وحنكة من مسؤولي الولاية الثالثة في ذلك الوقت، قد مكنهم من التسرب داخل تلك المنظمة التآمرية كما مكنهم كذلك من تحويلها لصالحهم، وكان أن تحصلوا منها على أسلحة وعتاد منقطع النظير، كما تمكنوا كذلك بعون الله تعالى وفضل منه من تحويل كل القروض النقدية المخصصة لها في مدة دامت خمسة عشر شهرا...

... وأكثر أحقادهم تلك يصبونها ساخنة على أم رأس والدنا العقيد «محمدي السعيد» باعتباره قائدا للولاية الثالثة في ذلكم الوقت من الزمان، حيث أنهم يعتقدون جازمين انه هو المسؤول المباشر الذي صدرت منه تعليمات عسكرية إلى مرؤوسيه بملوزة، بالقيام بالعمليات الانتقامية المعروفة ضد سكان ملوزة الأقوياء بالحضور الفرنسي ويقوي اعتقادهم هذا ما يطلعون عليه من الأخبار الخاطئة في مقال هذا أو ذاك أو في حكاية فلان أو فلتان.

من ذلك مثلا أن الأستاذ عبد العزيز وعلي الذي يكتب باستمرار في مجلة أول نوفمبر قد كتب في العددين 112 / 113 صفحة 54 من هذه

المجلة أن قيادة الولاية الثالثة التي كانت في ذلك الوقت بيد العقيد محمدي السعيد، هي التي أصدرت أوامرها الانتقامية السابقة الذكر، إلى مرؤوسيها والتي انجر عنها إبادة ما نيف على 300 رجل جزاء غدرهم بالمجاهدين وخيانتهم لهم.

على كل حال هذا افتراء وإفك ملفق على العقيد، وقول مردود على صاحبه إنه غير صحيح بالمرة، أن يكون ما حدث بملوزة قد جاء بإيعاز من قيادة الولاية كما يدعي الأستاذ عبد العزيز وعلي، إنما قد جاء ذلك ارتحاليا من الملازم سحنون عبد القادر المعروف باسم الباريكي وبتصرف شخصي منه رحمه الله كما ساوضح ذلك فيما بعد.

وأذكر هنا بالمناسبة أن رجلا من ملوزة من أصحاب السيارات الفخمة قد جاء ذات يوم إلى منزل العقيد محمدي السعيد بالقبة ليستفزه بالقول وما كاد الرجل الزائر يجلس إلى الأرض حتى بادر العقيد سائلا: هل أنت هو ذلك العقيد المجرم، الذي رمل نساءنا ويتّم أطفالنا والذي ألحق بنا هذه الوصمة من العار، حتى بارت بناتنا وأخزي رجالنا..

وما كان من العقيد الشيخ الذي استفزه الغضب إلا أن قذف بالزائر خارجا ككيس من الرمل!

هذا هو المعنى العام الذي يدور عليه موضوع المدعو «عمران جعجاع» وهذا ما يستنبطه القارئ من «عفا الله عما سلف» حيث نجد (جعجاعنا) يعنف على المجاهدين باللوم، ويصفهم بالمجرمين والحمقى، لأنهم عاقبوا الخونة في جهتهم بالقتل، ثم أنهم رفضوا أن يقيدوا أسماء هؤلاء المقتولين على أيديهم هم في السجل الشرفي للشهداء..

ثم نجد صاحبنا «الجعجاع» يطلب من المجاهدين كذلك أن يعيدوا المظالم إلى أصحابها ويعترفوا بأخطائهم! ويكفروا عن جرائمهم! وهذا هو بالضبط ما طلبه قبله بنو عمومته من الرئيس الراحل «هواري بومدين» في وفد من بضعته عشر رجلا، والذي لم يستطع من جهته هو الآخر أن يستجيب لرغباتهم غير المشروعة وغير المعقولة في نفس الوقت.

وفي الفقرة الثانية من هذا الموضوع نجد صاحبنا قد تجرد من كل القيم الأخلاقية والدينية وتعدى فوق ذلك كل حدود اللباقة والآداب، حيث يقول عن العقيد المجاهد «محمدي السعيد» ولو لم يسمه باسمه الشخصي!

يظن أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فراح يستبدل زوجته الوفية، التي انتظرته في الجحيم سنوات غيابه عنها، حتى إذا دخل الجنة استبدلها بفتاة طرية، دخل بها الفردوس.

ومن هذا الباب أيضا يدرج صاحبنا تهجمه اللاأخلاقي على الأستاذ محمد الصالح الصديق، حيث يتهمه بالتحيز الجهوي وتزييف التاريخ الثوري بالولاية الثالثة، وكان الأحرى بالمدعو (جعجاع) الا يدس جحفلته فيما لا يفقه فيه شيئا، ولا يغيبنّ عنه أن الجهل مطية من ركبها ذل ومن صاحبها ضل ومن أخطائه وجهله بالتاريخ، مزجه بين عمليتي العصفور الأزرق وبين المؤامرة الزرقاء.

إن عملية العصفور الأزرق شيء والمؤامرة الزرقاء شيء آخر، إن الأولى صحيحة والأخرى باطلة.. فالأولى بطلها هو الحاكم العام «جاك سوستال» وبطل الثانية هو العقيد «فودار» الداهية الماكر، فلا دخل البتة لـ«ميشال دوبري» لا في هذه ولا في تلك كما يقول.

ثم لا يريد (الحجعاج) أخيرا إلا أن ينصب نفسه مدافعا باسلا، عن نباهة أسياده الفرنسيين وقادة جيوشها حيث يرفض بشدة تقبل إمكان انطلاء حيل جيش التحرير على قادة تلكم الجيوش المهزومة، إذ يقول في هذا الشأن ما مؤداه: «إن قادة فرنسا ليسوا من الغباء والحماقة والسذاجة إلى درجة لا يفرّقون بين العدو والصديق.. ثم يختم صاحبنا موضوعه بقوله تعالى: (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وفي هذه الآية الخاتمة من الوعيد ما عبّر عن معناه صاحبنا نفسه في السطر الذي سبق الآية بقوله -وهو يخاطب المسؤولين في الجيش والدولة-: «ونسوا أن الشعب حتما سيسألهم ويسأل أبناءهم من بعدهم».

هذا، وما دامت حوادث ملوزة هي التي يتخذها بعض المغرضين ذريعة للقدح في الثورة والثوار، فإنا ملزمون بتقديم عرض تاريخي حول هذه القضية علنا نزيل به بعض الغموض الذي يكتنف هذا الجانب المبهم من التاريخ في الولاية الثالثة.

إن قضية ملوزة قضية حساسة جدا، تضاربت حولها الأنباء واختلفت عليها الآراء.

ومن الناس من ينسب أحداثها إلى العقيد «محمدي السعيد» رئيس الولاية الثالثة يومها - ومنهم من ينسبها إلى النقيب أعراب، ومنهم من يحمل مسؤوليتها كاملة إلى والدي «عبد الرحمن ميرة» ذلك ما اطلعت عليه في كتاب: «أسطورة مغازين» المجلد 227 من صفحة 1030 إلى صفحة 1037، وذلك أيضا ما كتب على ظهر صُوَرِه، التي أخذت له حين أزهقوا روحه، والتي ما تزال موجودة بالمكتبة الوطنية بـ «باريس» ولدي الآن نسخ منها، حيث ورد فيها بالحرف الواحد العبارة التالية: «ها هي ذي جثة رئيس المتمردين مسؤول مذبحة ملوزة».

هذه الشهادة أدلى بها جزائريون للجنرال «جاكان» ولغيره وما يزال مع الأسف، جمهور غفير، ممن يعتقدون بصحة هذه الشهادات الخاطئة ويؤمنون بها إيمانا أعمى.

ربما لأن هؤلاء الناس البسطاء لم يكونوا في ذلك اليوم، بل إلى يومنا هذا في مستوى الأحداث لكي يعلموا الأخبار الصحيحة من الخاطئة، فهم معذورون.

وبقيت أخبار «ملوزة» مبهمة ومحيرة للعقول إلى أن أماط عنها اللثام والدنا «محمدي السعيد» عقيد الولاية الثالثة ومسؤولها في ذلك الحين، والمتهم الأول في القضية في تصريحه التاريخي، الذي أدلى به في الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة، المنعقد بتيزي وزو يومي 07 و08 من شهر فبراير 1985، حيث قال: «كنت في بلاد القبائل الكبرى عندما وقعت حوادث «ملوزة» في مارس 1957، وعند اطلاعي على الأحداث عن طريق الصحافة كان كل الناس على علم بأن المنطقة المذكورة تعج بالمصاليين الذين يعملون تحت حماية ضباط فرنسيين حيث يتلقون منهم الأسلحة والعتاد.

وفور علمي بالنبإ في الصحافة ظننت أنه من عمل المصاليين الذين انتقموا من السكان المحليين الرافضين مساعدتهم وحمايتهم، فطلبت من النقيب أعراب رئيس المنطقة في ذلك الحين، أن يذهب إلى عين المكان لإخبارنا بحقيقة ما حدث، وعند عودته أخبرنا بما يلي: الملازم عبد القادر الباريكي (حسب ما قال لي) هو وحده المسؤول عن هذه العملية التي قام بها دون استشارة أي مسؤول فهو وحده الذي يتحمل المسؤولية.

وأضاف أنه برر عمله بما يلي:

كانت كل حركة من طرف رجاله تكشف وتبلغ إلى القوات الفرنسية المتمركزة غير بعيد عن المكان، وسبب هذا في قطع الاتصال بين الشمال والجنوب وكذلك مع الشرق.

اصبح التموين صعبا جدا، لان بعض سكان ملوزة الأقوياء بالحماية الفرنسية والحضور الفرنسي يرفضون أية مساعدة والحل إما مغادرة المنطقة وإخلاء المكان لأعوان الاستعمار لتأسيس قاعدة ضدنا! وإما القضاء على هذا العائق إلى الأبد.

وقال الباريكي: إنه اختار الحل الثاني، وخلال المجابهة اتحَدَ ضدنا المصاليون والسكان فاستحال الفرز بينهما - فحصل ما حصل.

وأضاف العقيد محمدي السعيد يقول:

وطالبت لجنة التنسيق والتنفيذ بدورها تحقيقا رسميا فكلفت الرائد (عميروش) بالقضية الذي كان محتوى تقريره مطابقا لتقرير النقيب أعراب.

إن قضية «ملوزة» وإن كان الفرنسيون قد أعطوها بعدا سياسيا أكبر من حجمها لا تساوي شيئا بالمقارنة إلى شبيهتها بجنوب قسنطينة في 20 أوت 1955، سواء من ناحية الأخطاء السياسية أو التاريخية للرجال أو من ناحيه حجم الخسارة البشرية.

إن الحل الذي اختاره الملازم سحنون عبد القادر المعروف باسم الباريكي بملوزة هو عينه الحل الذي سيختاره أي مسؤول عسكري كان، وإلا فماذا عسى ان يفعل القائد العسكري اللبيب، أمام كل تلك التحرشات والمناوشات والاستفزازات والتقتيل الفردي والجماعي والتسميم المأكلي الذي يتعرض له جنوده يوميا على أيدي سكان منطقة ملوزة، حيث استفحل فيها نشاط «بلونيس» والنقيب الفرنسي «ثامبط»

وتحديدا بقرية «بني يلمان» ناهيك بمن يغدر به ويقتل من رحالات الولاية الثالثة المتوجهين إلى الولاية السادسة عبر منطقة ملوزة.

لقد أضحت ملوزة في ذلك الوقت مقبرة رهيبة، ونقطة حالكة لأعضاء جيش وجبهة التحرير الوطني بالجهة، بما ابتلعت من الأرواح الزكية حتى حق أن توصف بمثلث البرميد..

هذه إذن هي أخبار حوادث بني يلمان من ملوزة باختصار، وقد نقلناها لكم بأمانة مباشرة من أفواه رجالها، فإذا أثارت حفائظ أعداء الثورة والخونة من أمثال: «عمران جعجاع» فذلك شأنهم هم ولا دخل لنا في أمورهم.

أما نحن، معشر أبناء الشهداء والمجاهدين وأبناء المجاهدين الوطنيين من عمال وفلاحين، فواقفون بالمرصاد لكل من يتربص بالثورة الدوائر بحكم انتمائنا إليها، وعليه لا لوم علينا إذا كانت أقلامنا بمثابة أسنة الحراب، وأفواهنا كقاذفات النار في وجوه العملاء والمرتدين.

إنا على آثار آبائنا ماشون، ولعهدهم راعون، وعلى تاريخهم حارسون من يدنو من ساحتهم لفحناه بشواظ من نار ومنون، وإنا على هذا العهد باقون، وللجهاد ناصرون حبٌ من حبٍّ وكره من كره.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار والنصر للثورة والثوار وكل الأحرار.

النائب اسماعيل ميرة

مؤامرة العصفور الأزرق

امتدت هذه العملية عشرة شهور من نهاية نوفمبر 1955 إلى نهاية سبتمبر 1956، وهي عبارة عن مؤامرة مدبرة من طرف القوات العسكرية الفرنسية، حولتها الثورة إلى انتصار لها، وخيبة للجيش الفونسي، ويطلق عليها عدة أسماء:

- العصفور الأزرق OPERATION OISEAU BLEU
- عملية عسكرية سرية OPERATION ARMEE SECRETE DE KABYLIE
- كوماندو. ك COMMANDOS : k
- قوة. ك FORCES : k
- المؤامرة LE COMPLOT

وبدأ الوالي العام جاك سوستيل التفكير فيها خلال شهر نوفمبر 1955 بعد عام من اندلاع الثورة، وذلك في إطار البحث عن القوة الثالثة التي ستكون بديلا لجبهة التحرير، وجيش التحرير الوطني، تساعد على تطبيق سياسة الإدماج التي يتحمس لها سوستيل، ويسعى جاهدا لتطبيقها، رغم أن الزمن قد فاتها، وتجاوزها، وفشل الفرنسيون في تطبيقها بالهند الصينية وفي الجزائر قبل اندلاع الثورة.

وقد حاول الفرنسيون بعد اندلاع الثورة أن يعودوا إلى هذه السياسة، وعهدوا إلى منظمة المصالح الادارية الخاصة المدعوة باسمها المختصر: الصاص (S.A.S) بأن تمهد لها بوسائلها الخاصة المعروفة، وتم تعيين الجنرال بوفر BEAUFRE على رأس الفرقة الثانية للمشاة البحارة 2 ème division d'infanterie de marine ليحارب الثورا في منطقة العمليات بالقبائل (K.O.Z) ويشرف على إنجاز هذه العملية، كما عين

الجنرال سبيلمان SPILLMAN على منطقة الأوراس، وحاول هو الآخر في بداية عام 1955 أن يكون فرقا للدفاع الذاتي من الجزائريين، وعرف عنه كرهه وحقده اللامحدود للثوار الجزائريين الذين لا يطلق عليهم لا اسم فلاقة، ولا اسم الإرهابيين، ولا اسم فولوز(FELLOUZE) ولكن يطلق عليهم اسم الموسخين أو المتسخين (SALOPARDS)، ياله من جنرال؟.

وقبل أن تشرع القوات الفرنسية في تطبيق عملية العصفور الأزرق، عملت على دعم قوات بللونيس الميصالية، المعارضة للثورة ولكن هذه القوات الميصالية تلقت ضربات قاسية من طرف قوات جيش التحرير، وفقدت الكثير من رجالها واضطر بلونيس نفسه أن ينسحب بمن بقي له من الرجال إلى الجنوب.

وعندئذ فكرت الولاية العامة في تنفيذ خطتها، وتجنيد رجال من منطقة القبائل وتسليحهم على غرار كتائب جيش التحرير، ليندسوا بين جنود التحرير، ثم ينقلبوا عليهم وكلفت الولاية العامة، مصلحة الوثائق التابعة للمنطقة العسكرية العاشرة، لتباشر العمل، وهي لا تخضع إلا لمكتب الوالي العام مدنيا، وللجنرال لوريلو LORILLOT رئيس المنطقة العسكرية العاشرة عسكريا.

وقد بدأ التمهيد لعملية العصفور الأزرق في شهر نوفمبر 1955 عندما اتصل مفتش قديم للشرطة في فرقة الرماة يدعى أو سمر OUSMER بصديق له قديم منذ الصبا جزائري كان من قدماء المحاربين في الحرب العالمية الثانية، ومن قرية إيقر نسالم في منطقة تيقزيرت، يعمل في مصالح استخبارات لوريليو، ويدعى حشيش الطاهر، واقترح عليه أن يقدم الجيش الفرنسي أسلحة وذخائر ونقودا لمتطوعين جزائرين يكونون منظمة سرية عسكرية لمحاربة الثوار في بلاد القبائل بنفس أساليبهم وتخطيطاتهم وكان أو سمر هذا على علاقة جيدة بالوالي العام جاك سوستيل.

تشجع حشيش الطاهر للفكرة، وسافر إلى قرية العزازقة في جبال جرجرة، واتجه إلى مطعم هناك كان زبونا قديما عنده، وتناول غداءه حتى شبع ثم دخل في حوار طويل مع صاحبه الذي يدعى أحمد أوزايد، وكان الحوار كما يلي:

– حشيش : كريم بلقاسم هو الذي يتزعم الثورة.

– أوزايد : هكذا يقال.

– حشيش : إنه قتال النساء والأطفال هذا المجرم.

– أوزايد: آه نعم. وكل هذا شيء مؤسف.

– حشيش: وأنت ألست ضد هؤلاء الباندية LES BANDES .

– أوزايد: بكل تأكيد إن الشعب يعاني كثيرا.

– حشيش: وبما أنهم ضد الشعب فأنا كذلك أتعلم أني من هنا وغادرت البلاد منذ مدة طويلة ولكن أريد لشعبي أن يكون سعيدا إذا أردت يمكن أن تفعل شيئا.

– أوزايد: ماذا؟

– حشيش : الحرب ضدهم، ولكن ليس كحرب الحركة، والفرق المتحركة للحماية الريفية(G.M.P.R.)

– أوزايد: أنت مجنون، دع هذا للجيش الذي يوجد في كل مكان بأسلحته ومصفحاته، ونقوذه التي لانملكها نحن؟

– حشيش : ولكن الجيش لا يعرف بلادنا القبائل مثلك، ومثلي إنه يهاجم بالصدفة ليسقط على البعض بالصدفة وكما جاء كذلك.

– أوزايد : وأنت أتوجد في وضع أحسن؟

– حشيش : نعم؟ وسأشرح لك، وواصل الحديث والشرح معه عدة أيام ثم عاد إلى الجزائر ليقدم تقريرا عن مهمته إلى المفتش أو سمر، ورجال الولاية العامة.

ولما كان أوزايد مناضلا قديما في حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وصديقا لكل من أعمرو أوعمران، وكريم بلقاسم، فقد نقل الخبرإلى المجاهد محمد إيبازورن أحد ضباط جيش التحرير في المنطقة الرابعة، وطلب منه أن ينقله في الحال إلى كريم بلقاسم، فنقله إليه وأمر في الحال أن يواصل أوزايد اتصالاته إلى النهاية حتى يعرف خطة المخابرات الفرنسية وأهدافها ووسائلها.

وعندما عاد حشيش الطاهر إلى العزازقة، اتصل بصاحب المطبخ أوزايد، وعرض عليه مخططه كاملا على أن يبقى سريا وسأله ما إذا كان بإمكانه أن يحصل على المال والأسلحة لمحاربة الثوار، فقال له زعيديد أنك مهبول تبحث هنا عن الأسلحة ونحن لا نستطيع أن نحصل على بندقية صيد.

فأجابه حشيش بانه يمكن له هو أن يحصل على أسلحة وعلى مال كبير وعليه هو فقط أن يبحث عن الرجال المستعدين للحرب ابتداءا من هذا المساء بشرط أن يكونوا ذوي ثقة لمثل هذه المهة وأعلن له أوزايد استعداده لتجنيد رجال كثيرين لأنه يعرف الجميع في منطقته.

ولما استفسره حشيش عن العدد الذي يمكن تجنيده قال له أي عدد تريده أنت سيكون جاهزا وتم الاتفاق في البداية على اختيار خمسة عشر رجلا وافترق الرجلان وعاد حشيش إلى العاصمة ليحكم ويضبط الأمر مع الولاية العامة، ونقل أوزايد الأمر إلى كريم ورجاله في نفس مساء ذلك اليوم فدرسه مع محمدي السعيد وصمم على متابعته وتنفيذه رغم معارضة محمدي السعيد وذلك بالكيفية التي تخدم الثورة، لأنه كان يعرف أوسمر، أحد قياد القبائل التابعين لمصلحة د. س. ت (T.S.D) ومن رأيه أنه سيعمل في يوم ما لتأييد جبهة التحرير الوطني مثل المفتش أريان ARBANE. قرر كريم بلقاسم أن يجند

لحشيش الطاهر رجالا من الفئات الثلاثة التي تخدم الثورة وكلهم ذوو خبرة ومقدرة :

1- جنود جيش التحرير الفارون والمختفون في الجبال.

2 - رجال الاستعلام المكلفون بمهام الاتصال ونقل الأخبار.

3 - المسبلون المستقرون بالقرى والمدن لخدمة الثورة.

وتم اختبار 15 رجلا، وأعطيت أسماؤهم إلى حشيش الطاهر مع ارقام بطاقات تعريفهم واختار كريم بلقاسم، رجلا مهما وذا ثقة هو مخلوف محمد من أيت ونيش، وكلفه بان يكون إلى جانب أوزايد، ويتولى الاتصال بالفرنسيين ويحدد الأسلحة والمبالغ المالية المطلوبة لكل فوج يجند، ويظهر حماسه للعملية.

تسلم حشيش الطاهر هذه القائمة وعاد بها أو سمر إلى الولاية العامة وتمت دراستها ثم عاد بالموافقة إلى أوزايد بالعزازقة وأبلغه أنه منذ اليوم سيتحمل المسؤولية باسمه وتحته وان قيادة الحرب في باريس لا علم لها بهذه الخطة، وعندما استفسر أوزايد عن الأسلحة والمال أجابه بان كل شيء سيصل عن قريب، وبعد يومين توصل أوزايد في مطعمه بكمية من الأسلحة الحديثة والجديدة وبمبلغ مليوني فرنك كلها من فئة 5000 فرنك، ليسهل توزيعها وقد حملتها إليه سيارة دوسيريني DE SERIGNY مدير جريدة صدى الجزائر L'ECHO D'ALGER التي تتولى توزيع الجريدة حتى لا يتم لفت الأنظار للعملية.

وقد قام أوزايد بتوزيع الأسلحة والمبلغ المالي على المجندين، وطلب منهم العمل ضد فلاقة كريم وطلب حشيش من أوزايد أن يواصل تجنيد المزيد من الرجال وبدات بالفعل عملية العصفور الأزرق، أو قوة القبائل، أو المؤامرة وهي أحسن تسمية لها لكن أية مؤامرة.

وحتى يغطي كريم الخطة ويعمي على القوات الفرنسية، ويساعد مجنديه في هذه العملية طلب منهم أن يكثروا من إطلاق النار في الهواء في الليل وتبادل التراشق الاصطناعي وقام هو باصطياد المصاليين واغتيالهم، وتقديم جثثهم إلى هؤلاء المجندين ليقدموها بدورهم إلى القوات الفرنسية، وكان يختار قتلاه من خارج المنطقة حتى لا يتم التعرف عليهم وتظن القيادة الفرنسية أن منطقة القبائل خالية من جنود جيش التحرير، وهكذا تحمل الميصاليون ثقل هذه العملية وكانوا ضحاياها.

وبهذه الكيفية أحكم كريم بلقاسم الخطة لصالح الثورة مثلما حاول الفرنسيون إحكامها لصالحهم وتم تجنيده أكثر من 600 رجلا وسلحوا تسليحا جيدا، وأعطى لكل واحد منهم رقما معينا ليكون معروفا، ورموا في جبال القبائل العليا جرجرة، وسلطوا أعمالهم على قتل المخبرين (البياعين) وقطع أعمدة وخطوط الهاتف، وتخريب الجسور والطرقات العامة على غرار ما يقوم به جيش التحرير، وتوقفت القوات الفرنسية عن شن الغازات الحربية على منطقة العملية لتفسح المجال لهؤلاء المجندين، وحتى لا تصيبهم كذلك.

وتواصل تجنيد هؤلاء الرجال حتى بلغ عددهم 1500 رجلا، انتشروا في جهات عزازقة، تيقزيرت، تيزي وزو، وعين الحمام، وكانت نتائج أعمالهم مرضية بالنسبة للجيش الفرنسي وقتلاهم كلهم من المصالين، والمخربين، وأعداء الثورة، حسب تعليمات قيادة جيش التحرير الوطني.

وكان الحاكم العسكري الفرنسي لتيزي وزو هو الذي يحمل في سيارته من نوع بوجو 203 صناديق الأسلحة والذخائر والمبالغ المالية، والمؤن إلى منزل مخلوف محمد آيت ونبش الذي يقيم عنده كريم بلقاسم في منزله، إن القيادة الفرنسية مهما تكن حاذقة، فإن الثوار كانوا أكثر حذقا منها.

ولكي تتعرف قيادة جيش التحرير على علاقة هذه العملية بالمصالين سأل أوزايد صاحبه حشيش الطاهر، ما إذا كانت له علاقة بهم كما هو الحال معه، فأجابه بان بلونيس يعمل مباشرة مع المحافظ قونزاليز GONZALEEZ ولا صلة له به وبهم.

وزيادة في التحري، كلفت مصالح الاستخبارات الفرنسية الضابط هنتيك ضفى‌يهظف بالمراقبة والاحتراس فتمركز بتيقزيرت إحدى مواطن تواجد هذه القوات الخاصة وانضم إليه الضابط سير في SERVIER الذي يتحدث العربية، والقبائلية، والشاوية، وعمل في الاوراس قبل قدومه إلى هنا وذلك تحت قيادة الجنرال أولي OLIE الذي يرأس منطقة العمليات العسكرية للقبائل (K.O.Z) وقد اكتشف هنتيك بأن سائق الباشاغا على صلة بالثوار في تقزيرت، ويقدم لهم المساعدة، من مال الباشاغا فاحتج ولم يصدق.

استكملت عملية العصفور الأزرق شكلها، واطاراتها في النصف الاول من عام 1956 وشرع رجالها في العمل كما ذكرنا وكان جاك سوستيل قبل رحيله في شهر فيفري 1956 أخبر بها خلفه روبير لاكوست، وشرح له أهميتها، فاستبشر بها خيرا، وتوقع من ورائها نجاحا كبيرا ونهاية للثورة، ولذلك طلع على العالم بشعاره المعروف "ربع الساعة الأخير" وسابق الأحداث وزعم أن الثورة بقي لها ربع الساعة الأخير لتموت وتنتهي ولم يدرك ان هذا الربع، ربعه هو لينتهي وليس ربع الثورة.

وتم الاتفاق على تكوين فرق وكتائب عسكرية مسلحة يتراوح عدد افرادها بين أربعة وتسعة وعشرين رجلا مسلحا يدربون على أساليب جيش التحرير ويلتحقون بالجبال وقام الضباط الفرنسيون بتوزيع الأسلحة على بعض هذه الفرق في إحدى الليالي بعد عشاء بالمشوي ولكن أي مشوي هذا إغراء لهم طبعا ولم يعلموا ولم تعلم القيادة العسكرية

الفرنسية معهم إلا فيما بعد، بأن جبهة التحرير الوطني تحصلت من خلال هذه العملية بواسطة هؤلاء الجنود المسلحين على 84 مليون سنتيم نقوداً، و 850 قطعة سلاح متنوعة مثل الموسكوتو MOUSQUTOS والرشاشات والمسدسات الرشاشة والذخائر.

وفي يوم 16 سبتمبر 1956 تم توزيع آخر كمية من الأسلحة على بعض أفراد هذه المجموعات في قرية إفليسن، بحضور الجنرال أولي، ولم يكن رئيس فرقة الدرك بتيقزيرت على علم وخلال مؤتمر الصومام تم الاتفاق على ضم هذه الكتائب إلى الثورة بصفة جماعية، وفي يوم 10 سبتمبر أعطي الضوء الأخضر لرؤسائها على أن يتم ذلك ليلة 30 سبتمبر 1956 وكان عددهم كما ذكرنا 1500 رجلا وقبل أن يلتحق أوزايد بالجبل مع هؤلاء الرجال تخلص من حشيش الطاهر وقتله بثلاث رصاصات في بطنه، وأخذ طريقه إلى الجبل وكانت مفاجأة للقوات الفرنسية أطارت صوابها فجندت 15 الف رجل، وشنت صباح يوم أول أكتوبر عملية عسكرية ضخمة دامت ثلاث أيام بمدافع عيار 155 و 105 و 75 وبالطائرات والمصفحات، وأشعلت منطقة تيقزيرت، التي يتواجد فيها أغلب أفراد هذه القوات وسلطت العذاب والتقتيل على المدنيين العزل، وخربت ديارهم وهتكت أعراضهم وأفسدت أموالهم وقتلت العشرات بكيفية عشوائية، وأقامت قيامة المنطقة لأن الصدمة كانت قاسية وتمكنت من اعتقال 600 من المجندين، بينما تمكن 600 من الالتحاق بجيش التحرير، وقتل الباقي.

د. يحيى بوعزيز

كيف اهتدى روبير لاكوست إلى تسليح "الثورة"

لكل عاقل أن يتساءل عن الأمر الذي يبعث لاكوست على التفاؤل ازاء تطور الحالة في الجزائر لقد توالت على أذنيه أخبار العمليات وما تتركه في صفوف الجيش الفرنسي ومسيري الاستعمار من فراغ وتعاقبت انتصارات جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني حتى أصبحت الصحف عاجزة عن احصائها وعدها وظهر عجز 600.000 جندي مسلح باقوى وأحدث الأسلحة حتى اضطر الوزير المفوض إلى الكذب والاحتيال على طريق (المكتب النفساني) والتصريحات النفاقية، لكن الأمر يفتضح اليوم فقد كان سوستيل خلف له (سلاحا سريا) يقضي على الثورة الجزائرية وقد تعاون على اكتنافه كل من السادة لاكوست، وسوستيل، ومولى، وأولي، ولوجون أولي، وبانطال، ولونشان، وغيرهم من الدواهي السياسية والعسكرية والبولوسية.

وقد وقع الاختيار لتنفيذ هذا المشروع على ثلاثة من رجال جبهة التحرير كانت ادارة سوستيل تعتبرهم كموالين أوفياء لها وهم احمد زبدات، والطاهر عشيش[1]، ومحمد يازورن، فكلفوا بتجنيد أفراد من "القبائل الخلص" في جماعات تضم خمسة عشر إلى عشرين شخصا (نفس الأسلوب الجاري في جيش التحرير الوطني) وكانت الادارة تريد إن تجعل على رأسهم ضباطا استعمارين وتحارب بهم "الثوار".

وقد جاء الإخوان المذكورون إلى كريم بلقاسم، والسعيد محمدى، بالخير، فامرهم بتلبية دعوة الولاية العامة وهكذا تم التجنيد وتم تسليح الرجال في أقرب وقت، ونلاحظ أن الاختيار كان يقع على أحسن العاملين في جبهة التحرير الوطني، عندما تسلم لاكوست مقاليد الحكم على يد سابقه سوستيل همس له هذا الأخير بالخطة التي سماها إذا ذاك "القضية الهامة"

---

(1) الحقيقة ان طاهر عشيش ليس من جبهة التحرير، وانما نُسب إليها في تلك الظروف لهدف سياسي لا يخفى على اللبيب (المؤلف).

وفي الاجتماع الاخير الذي عقده قادة الثورة الجزائرية لمناطق وهران، والجزائر، وقسنطينة، تقرر ان تدرج هذه الجماعات المسلحة في صفوف جيش التحرير الوطني، وأن تشارك في هجوم الخريف العام الذي يشن في كامل القطر الجزائري مساء يوم 30 سبتمبر 1956.

هيهات يا مسيو لاكوست ان تكون القضية الجزائرية مجرد مسألة خيال، أنك بعيد عن الحقيقة وعن الكفاءة معا إن القضية الجزائرية تتطلب معرفة الشعب الجزائري معرفة جيدة وهذا الشعب نعرفه نحن لاننا نحن الشعب، لهذا كان ينقصك شيء واحد في انجاز هذه التمثيلية التي هياتها وهو معرفة المسرح والممثلين قبل الشروع في العمل، ولكن المسرح هو بلادنا والممثلون هم نحن.

إنك سلحت مجاهدين حقيقين لجبهة التحرير الوطني، فكيف يبلغ التغفل بالإنسان إن يصدق هذا الحلم.

أكنت تعتقد أننا من البلاهة والغرور بحيث نتغاضى عما صنعت؟ ها هو الواقع يخبرك، ولعلك ستدرك أخيرا ماهي ثورتنا وتشعر بعقم أساليبك، ولاشك أنك ستستخلص الدرس الكافي من هذا الحدث وهو درس يستحق المائات من الأسلحة التي سلمتها لنا مجانا فكن على يقين إننا سنقدر الهدية حق قدرها وسنستعملها أنفع إستعمال للمصلحة الوطنية ولعل الشعب الفرنسي الذي يموت أبناؤه كل يوم سيقدر صنيعك بدوره، ولعله يطالبك بمحاسبة يعسر عليك شرحها بعدما خدعته بثباتك المصطنع، وهذه تفاصيل لا تهمنا.

أما نحن فإن التجربة واضحة بالنسبة لنا، إن القبائل "العمالة الثلاثة" ستكون مثالا لباقي البلاد، وستبوء (نشر الإسلام) في كل ناحية منها بنفس الفشل وإذا ما أرادت الحكومة الفرنسية أن تجد الحل للمشكل الجزائري وفي يوم من الأيام فعليها أن تختار طريقا آخر.

القسم الثاني

ملخصات عن حياة
من كانوا وراء عملية العصفور الأزرق بالتخطيط والتسيير.

بقلم المؤلف

- عن حياة البطل المرحوم كريم بلقاسم

- عن حياة العقيد محمد إعزورن

- عن حياة العقيد محمدي السعيد

- عن حياة أحمد أزايد

البطل المرحوم كريم بلقاسم

ولد كريم بلقاسم سنة 1922 بقرية تدعى (تزرا عيسى) بدائرة ذراع الميزان ولاية تيزي وزو، وتمتاز هذه البيئة الجبلية بقساوة الطبيعة، جبال ووديان وثلوج، مما جعله ينشأ قويّ البنية، صلب العود، نقي الفطرة، عاليَ الهمة علو تلك الجبال، وكان أبوه يمارس التجارة ثم حراسة الغابة، واشتغل شهورا (قايد) الدوار بالنيابة، وكانت له رغبة شديدة في تعليم إبنه ليتمكن من الوظيف الذي لا سبيل إليه إلا بتعلم الفرنسية، فالحقه بمدرسة (صاروي) بالجزائر العاصمة، وكان فيها مضرب المثل في الذكاء والنباهة والنشاط، وتذكر صحيفة «المجاهد» (9 سبتمبر 1958) أنه واصل تعليمه الثانوي بالعاصمة، أما الذي نراه فهو أن الظروف التي كانت تكتنفه لم تسمح له بمواصلة الدراسة، فاكتفى بالشهادة الابتدائية، التي أحرز عليها في المدرسة المذكورة وعاد إلى القرية.

قضى في القرية مدة من الزمن يقوم بحاجات البيت وشؤونه وينتظر ما قد يحمله الغد من عمل تقر به عينه، ويحقق به وجودَه، ويملأ فراغَه، ولأبيه مكانة قد تتيح له ذلك، ألم يكن نائب (قايد) في بعض الوقت يقصده الناس لقضاء مآربهم، وحل مشاكلهم؟

وفعلا ابتسم له الحظ، وجاءه الغد بعمل بسيط ولكنه يعد في ذلك الوقت عملا متميزا تهفو إليه القلوب، وتتحلب عليه الشفاه، إذ شتان بين من يعمل كاتبا في بلدية، عمل مربح، وثياب نظيفة، وراحة أسبوعية، وبين من يعمل في الفلاحة والزراعة والاحتطاب، عمل متواصل مرهق، في وهج الصيف وزمهرير الشتاء، أضف إلى ذلك أن العمل في البلدية ميزة المتعلمين عن الأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون!

وفي هذه الأثناء التي يشتغل في البلدية شاءت الأقدار -وما أرحمها- أن تميل زبه نحو أناس اشتهروا في القرية بالأخلاق الفاضلة، والسلوك القويم، يتلذذون بالسديد من القول، والنافع من العظة والعبرة، ويتنافسون في عرض صور مشرقة مما ورثوه عن الآباء والأجداد من المواقف المثيرة، والذكريات الروحية، وروائع البطولات، فكان يختلط بهم ويحتك، ويعمّق مشاعره وأحاسيسه فيما تجود به قرائحهم وأفهامهم، وكثيرا ما يتحدثون عن الاستعمار الفرنسي وما انجرُّ وراءه للشعب الجزائري طوال عهد الاحتلال من نكبات، وما استنزف من دماء، وما أسال من دموع، وما احتل من أرض، وما عاث من فساد، وما فرّق من أسر، وما مزّق من وشائج، وما اشترى من ضمائر، وما بعث من أحقاد، وما سرق من ذمم!

فكان لكل ذلك أثره العميق في نفس الشاب مما جعل قلبه يسطع منه نور الإيمان، وشعاع الأنس بالله، ويتفجر منه حب الوطن وبغض الاستعمار وجعله كل ذلك يستقيم على الجادة، وينهض بالواجبات الدينية، ويتفتح لحياة إيجابية قويمة، بسيطة في ذاتها ولكنها في حقيقتها بداية النهر المتدفق ماؤه عذبا رويا، وأرضية النضال الطويل الممتد عبر حياته، ونواة الشجرة الباسقة التي ظلت طوال عمره تؤتي أشهى الثمر!

ولا عجب في هذا التكوين البسيط الآلي الذي أعد هذه الشاب خير إعداد، والذي لم يكن في مدرسة أو معهد أو كلية، وإنما كان في (مجمع) أهل القرية، لأن الذين يديرونه ينطلقون فيه على سجاياهم وطبائعهم، ويعرضون فيه آلامهم، وينشرون فيه صحائف أجدادهم كما

وصلت إليهم، لا زيادة فيها ولا نقصان، ولا رتوش فيها ولا تزويق، ويقدمونها في اقتناع بها وإيمان، وفي إحساس متوهج وشعور ملتهب، يتلقاها من يتلقاها عن اقتناع واستيعاب.

وفي سنة 1943 دعي كريم بلقاسم للخدمة العسكرية، فانتهى منها سنة 1945، وإذا كانت الخدمة العسكرية في عهد الاحتلال الفرنسي شرا لابد منه، فإنها مع ذلك تعلّم الحزم والانضباط، والاعتماد على النفس، والتدرب على استعمال السلاح، فكم من رجال الثورة من ضاق بالخدمة العسكرية، واعتبرها عند قيامه بها مصيبة لا يبتلى بها إلا الأشقياء، ولما لبّى نداء الثورة وصار من رجالها حمد الله عليها لما وجد عليه نفسَه من حزم وانضباط، وتدرب واحتمال كما حدثني بذلك غير واحد.

وكان كريم كثير التفكير فيما آل إليه وضع الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي المقيت، وكان معظم تفكيره فيما يمكن أن يفعله وكثيرا ما يؤرقه ويقُضُّ مضجعه ما يفعله المستعمرونُ في بلده، وكم كان يحزنه ويفري نياط قلبه أن يرى أبناء المستعمرين يتمتعون بالحرية وبخيرات بلاده وأبناء الوطن يرسخون في أغلال من الذل والعبودية محرومين من ضروريات العيش!

ولا شك أن هذا الوضع هو الذي جعله ينقطع للنضال الوطني ويقف عليه كل طاقاته الفكرية، ويستعذب فيه كل ما يلاقيه من متاعب ومشاق.

وجاء في صحيفة «المجاهد» اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني (1959/09/19) أن أول حركة سياسية ظهر فيها هي أحباب البيان والحرية سنة 1943م ثم حزب الشعب الجزائري سنة 1945، ثم حركة الانتصار، ومنذ سنة 1947 بدأت السلطات الفرنسية تبحث عن نشاطه

السياسي، فالتحق بالجبل للتهيئة للعمل العسكري الثوري، وفي سنة 1949 أصدرت المحاكم الفرنسية عليه حكم الإعدام غيابيا، كما أصدرت نفس الحكم سنة 1950، ولكنه بقي يعمل في المنظمة السرية في جبال القبائل، حيث تخلى عن النشاط السياسي، وانقطع للاستعداد العسكري وتكوين الإطارات للثورة، وتخرج على يده عدد كبير من الشباب الذين تحملوا في الداخل بعد خروجه مسؤولية كبيرة في الثورة، وكان من العناصر الأولى التي هيأت الثورة سرا، ومن الأعضاء الأولين للجنة الثورة للاتحاد والعمل التي شنت الشرارة الأولى في أول نوفمبر سنة 1954.

ولما اندلعت ثورة التحرير في فاتح نوفمبر 1954، اضطلع كريم بمهمته وانقطع لها بكل طاقاته، لأن قيام الثورة هو الهدف الرئيسي الذي كان يعمل له دائما، ويبذل في سبيله كل جهوده، وقد برهن على مقدرة قوية في تسيير الثورة في بلاد القبائل كلها، وجعل قيادته نموذجا رائعا للتنظيم المحكم، والتدريب المثمر، واستحباب الموت على الحياة، والمجد على النجاة.

وكانت له فكرة عميقة واسعة عن حرب العصابات بالخصوص تكونت له من الحياة الطويلة في الجبال، ومن قراءته لبعض الكتب التي تعنى بهذا الشان، واستطاع ان يحصل عليه، فكان يخطط للكمائن بمهارة فائقة، ودهاء متميز، وقد نشرت له إحدى المجلات اليوغوسلافية الشهيرة، وهي تصدر عن وزارة الخارجية اليوغوسلافية واسمها (مجلة السياسة الدولية) نشرت مقالا نقلته صحيفة (المجاهد) بتاريخ 1959/12/28 حلّل فيه كريم طبيعة المعركة التي يخوضها جيش التحرير

الوطني، وتحدث فيها بالخصوص عن الكمين الذي قال عنه أنه (فن ومهارة) وجاء فيه بالخصوص:

«الكمين نوعان: الكمين الذي ينصب لوحدة اتصلنا بمعلومات عنها وعن قواتها زمان مرورها من مكان معين، وهناك الكين الذي ننصبه صدفة من غير أن تكون لدينا معلومات مضبوطة عن مرور العدو، إلا أن تنظيم الكمائن يتطلب خبرة ودراية عميقة هي عبارة عن فن خاص، يجب أن يعرف القائد كيف ينظم الجنود ويضع الأسلحة في مكانها اللازم كما أن اختيار مكان الكمين هام جدا».

وإذا كان كريم يتحدث عن جيش التحرير وقادته في تنظيمهم للكمائن والمعارك، فإنما يعني نفسه بالدرجة الأولى، لأنه القائد الأول في المنطقة كلها.

ومن أبرز ما يذكر في تاريخ هذا الرجل، ويشف عن دهائه المتميز أنه أحبط أخس مؤامرة دبرتها المصالح الفرنسية الخاصة للقضاء على الثورة، (فقد حاول سوستيل سنة 1955 عندما كان حاكما عاما للجزائر أن يسلح جماعات قوية من الجزائريين يتظاهرون للناس بانهم مجاهدون ليقاوموا جيش التحرير في الخفاء، لكن كريم بلقاسم استطاع أن يضع على رأس الاتصال بين سوستيل والجماعة التي يريد تسليحها رجلا من جبهة التحرير الوطني، هو العقيد محمد إعزورن، وبذلك كان جميع الأفراد الذين تتركب منهم تلك الجماعات مجاهدين مخلصين في الوقت الذي كان سوستيل يعتقد أنهم من أعوانه، وبهذا تمكن جيش التحرير الوطني من أن يتزود بالأسلحة الفرنسية مدة طويلة إلى أن كشفت جبهة التحرير الوطني عن المهزلة في مؤتمر وادي الصومام في أوت 1956.

ولما تمتاز به هذه العملية ويحيط بها من دلائل العبقرية والدهاء، أنكرها بعض المنتسبين إلى هذا الوطن خطأ عندما أصدرنا عنها كتابنا (العصفور الازرق) سنة 1990، وصعُب عليهم ان يستوعبوا أن الجزائريين يمكن لهم أن يضحكوا على أذقان القادة الفرنسيين، فكتب أحدهم في إحدى الصحف الوطنية يدَّعي أن العملية من نسج خيال المؤلف افتراها تمجيدا لمنطقته، والحقيقة ان مثل هذا الجاهل الاحمق معذور في زعمه وادعائه، لفقره من الوطنية والانتماء الصحيح، هذا أولا، وثانيا لتشبعه إلى النخاع بحب فرنسا والإعجاب بعظمتها، وهي أمراض ما اجتمعت في المرء إلا كان همه الأكبر التهوين من شان الوطن، والكفر بامجاده، والإفراط في التهويل بعظمة فرنسا والإيمان بكل ما يعزى إليها من المثُل ومظاهر العظمة (انظر كتابنا «العصفور الأزرق» بالعربية والفرنسية - تجد تفصيلا شافيا، وبسطة وافية عن هذه العملية).

وساهم كريم بلقاسم مساهمةً فعالة في التهيئة لمؤتمر الصومام التاريخي، الذي انعقد بتاريخ 20 أوت سنة 1956، والذي وضع فيه لأول مرة ميثاق الجبهة بالتفصيل، وعين أعضاء المجلس الوطني للثورة، وأعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، وهي تضم هؤلاء:

الأمين دباغين، الشريف محمود، فرحات عباس، عمر أوعمران، كريم بلقاسم، عبان رمضان، الأخضر بن طوبال، عبد الحفيظ بوصوف، عبد الحميد مهري، وما أن انتهى المؤتمر بمخططاته وأهدافه حتى انطلق كريم ورفاقه يوسعون لهيب الثورة، ويصعّدون العمليات الفدائية بالعاصمة!

وفي مطلع سنة 1957 نظموا إضراب ثمانية أيام الشهير، الذي أبى الشعب الجزائري إلا أن يتخذ منه كفاحا جماعيا جبارا تحدى فيه بطش الاستعمار الفرنسي وقواته المسلحة الضاربة، بوحدته وصموده وثباته، وقدم في ذلك ثمنا باهظا لكفاحه السلمي عبّر به عن الثبات المكين، والإيمان الراسخ الذي لا يتزعزع، والوعي السياسي العنيد الذي افتك إعجاب العالم كله!

وتحقّق الهدف من الإضراب، حيث كان بمثابة عملية استفتاء وطني شامل عبّر به الشعب عن ثقته المطلقة، في ثورته التحريرية!

وخلال الحصار الشديد المضروب على العاصمة وقع المناضل البطل محمد العربي بن مهيدي في قبضة العدو، فجربت فيه زبانية التعذيب ألوانا مختلفة من التعذيب الفظيع لتفتك منه كلمة عن أسرار الثورة، ولكنه صمد في صمت وكبرياء، ورفض في إباء وشمم أن يتأوه أو يتألم أو يشكو أو يستغيث حتى لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يبتسم لأنه استطاع بإيمانه بالله، وبالتحرر أن يقهر الألم وينتصر عليه.

وخوفا من وقوع الآخرين من أعضاء اللجنة في قبضة العدو، قرروا الخروج من العاصمة والاتجاه نحو المشرق والمغرب، فاتجه إلى المغرب الأقصى بعضهم، واتجه البعض الآخر إلى تونس، وكان كريم ممن شرقوا ووصل إلى تونس في شهر مارس سنة 1957!

وحين تأسست الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 12 سبتمبر سنة 1958 برئاسة فرحات عباس، عيّن كريم نائبًا للرئيس ووزير للقوات المسلحة، ولما وقع تعديل الحكومة في مطلع سنة 1960، عيّن كريم وزيراً للخارجية ونائبا للرئيس، ولما انتقلت رئاسة الحكومة إلى

السيد يوسف بن خدة في شهر أوت سنة 1961، عيّن كريم وزيراً للداخلية ونائبا للرئيس!

وكان كريم في كل هذه المناصب مثالا للرجل الكفؤ الذي ينهض بمهامه ومسؤولياته في قوة من العزم، وحرارة من الإيمان، ومضاء من الإرادة ونور من العقل، والمعية من الذكاء، ورصانة من اللب وتقدير العواقب.

ويبرز دور كريم بلقاسم التاريخي في ترؤسه لمفاوضات إفيان التي جرت بين 7 و18 مارس سنة 1962، والتي انتهت بإيقاف القتال واعتراف فرنسا باستقلال الجزائر!

وبعد الاستقلال، وجد كريم نفسَه خارج السلطة، رغم نضاله الطويل، واستماتته في خدمة الثورة، ومواهبه الفطرية، وخصائصه الذاتية التي بوأته مكانة متميزة في الأوساط العسكرية والسياسية خلال الثورة!

وكشفت الأيام بعد حين عما كان يختمر في نفسه، ويجيش في خاطره، فاختار المعارضة واتجه إلى الخارج وأنشأ حزبه الذي أطلق عليه اسم «الحركة الديموقراطية للتجديد الجزائري» وذلك سنة 1968.

وفي شهر أبريل سنة 1969 أصدرت عليه محكمة الثورة بوهران، حكما بالإعدام غيابيا، وفي يوم 20 أكتوبر 1970 وُجد مقتولا بفندق (أنتركونتيننتال) بفرانكفورت بالمانيا، وانتهت حياته كما تنتهي حياة كل إنسان حُددت إقامته فوق هذه الارض، تنوعت النهايات، والموت واحد!

العقيد محمد إعزورن

أصله ونشأته:

تدعى قريته (اعَجماض) ببلدية الأحد ولاية تيزي وزو، أما قبيلته فهي (اعزورن) وبها يعرف.

ولد في هذه القرية يوم 1912/03/18، واشتهر باسم (بريروش) وقد سألته عن هذا الوصف فذكر لي أنه كان يلعب ذات يوم مع لِدَاته من أبناء القرية لعبة تعتمد على الذكاء والدهاء، فمر بهم شيخ كبير فوقف ينظر إليهم وهم يلعبون، ولما رأى تفوقه على الأطفال قال له إنك (بريروش) ومعناه بالأمازيغية: الذكي الفطِن الذي لا تنطلي عليه الخُدَع، ومنذ تلك اللحظة صار يُدعى بهذا اللقب!

والداه:

رباه والدان، أحدهما والده الحقيقي المدعو سعيد العربي الذي ربى جسمه، وغذاه، ورعاه، وكان مولعا بأخبار الشهامة، والشرف والبطولة، والغيرة الدينية، والوطنية، وكان مغرما بالخصوص ببطولة الأمير عبد القادر، والشيخ الحداد والمقراني، وكان يحلو له أن يحدّث ابنَه عنهم وعن بطولاتهم ومواقفهم، فنشأ محبا للزعماء والأبطال والمصلحين!

أما الوالد الثاني فإنه الإمام الشهير في المنطقة بالصلاح، والتقوى، والوطنية الصادقة، الشيخ محمد البشير آيت صديق، الذي امتاز بكراهية الاستعمار الفرنسي، ومحاربته له جُهدَ طاقته في دروسه لعامة الناس، ومجالسه الخاصة، وأحاديثه المختلفة، مما جعل المحتلين المستعمرين يراقبونه ويضيّقون عليه الخناق، وخلال الثورة التحريرية، آذوْه شرَّ إذاية،

وحكموا عليه بالنفي من الجزائر، لكن الله تعالى حكم حكما آخر رآه أصلحَ وأليق.

كان العقيد من غرّة شبابه، يتصل بهذا الشيخ بإيعاز من أبيه، ويحضُر دروسَه التوجيهية، ويعمل بنصائحه الهادفة!

ولازمه من سنة 1938 تقريبا إلى أن اندلعت الثورة المباركة، يحضر دروسه وخطبه الجمعية، ثم مجالسه التي يعقدها أحيانًا في المسجد، وأحيانًا أخرى ببيته. وكان كل المناضلين الوطنيين بالمنطقة يحضرون هذه الدروس، وهذه اللقاءات، ويتلهفون شوقا إليها، لأنهم يجدون فيها ما يلبّي نوازعهم الوطنية، ويشبع نهمهم إلى غد وطني مشرق، ويجيب عن أسئلتهم المختلفة!

ومن هنا فالشيخ البشير هو الذي ربّى محمد إعزورن تربيةً وطنية، وصنع منه مناضلا يتقد حماسا، ويتهيأ يوما فيوما للثورة، وكان يقول: إذا كان لوالدي الفضلُ في تنشئة جسمي وتربيته، فإن لشيخي الفضلَ في تربية روحي وفكري، ووجداني، وإضاءة الطريق أمامي، وسلكتُه مقتنعا به مُرتاحًا إليه!

العقيد ينتظم في حزب الشعب

تأثر العقيد بشيخه المربّي، كما كان لقصص أبيه البطولية أثرُها في نفسه، فانتظم في سلك حزب الشعب سنة 1942، فوجد ميدانا فسيحًا ومُناخا مُلائما لتفجير طاقاته، والتعبير عن إرادته الثورية، فكان يناضل بإرادة قوية، وانضباط مرموق، وحِرص شديد على أن يكون مثال المناضل النموذجي الذي يشرّف الحزب ويشرّف والديه، (المادي) و(الروحي)، وكان لا يفتأ يدعو شباب المنطقة إلى الانخراط في الحزب، ولم تمض إلا مدة قصيرة حتى بلغ المنتظمون منهم فيه واحدا وأربعين بين الشباب والرجال!

العقيد يضطهد من قبل السلطات الاستعمارية

تقلب العقيد في أعمال حرّة مختلفة، من فلاحة، إلى تجارة، إلى صناعة الفحم، إلى نقل البضاعة بشاحنة اشتراها بالتقسيط من أحد أصدقائه!

وكانت السلطات الفرنسية منذ أن انخرط في حزب الشعب تعامله على أساس أنه العدو الأكبر لفرنسا: تراقب كلُّ حركاته، وتكيد له المكائد، وتضيّق عليه الخناق، وتفرض عليه عقوبات، وتتهمه بجرائر هو منها بريء، كعقد اجتماع مع المناضلين، أو توزيع مناشير الحزب، أو نقل أحد المناضلين (المتمردين) مثل كريم بلقاسم، وعمر أوعمران على شاحنته. وكثيرا ما يوقفونه للتحقيق معه في شيء تافه لا معنى له، وأحيانا ينتزعون منه بطاقة الهوية، أو رخصة القيادة، فيظل أياماً بلا أوراق يتعرض خلالها للإهانة والإذاية!

مكانته عند المناضلين

كانت له عند مختلف المناضلين مكانة متميزة تبوأها بأخلاقه الكريمة، وخاصة خلق الصدق والوفاء، فكانوا يثقون فيه كل الثقة، وكان كريم بلقاسم وعمرو أوعمران فلاح، إذ ضاقت بهم الحياة في الجبل نزلوا ضيوفا عنده أياما، وقد ذكر كريم أنه لا ينام مطمئنا إلا في بيت إعزورن!

عندما دقت الساعة واندلعت الثورة

ولما دقت الساعة أول نوفمبر سنة 1954 كان العقيد على رأس فرقة من المناضلين الذين ارتفعوا إلى المستوى، فوق التردد والخوف والموت!

وذكر لي –رحمه الله– أنه تلقى أمرا من القيادة –كريم وأوعمران– بتفجير الثورة في لحظة الصفر بمدينة عزازقة، وأبلغ بدوره طائفة من المناضلين بأنهم يلتقون في مكان معين بالقرب من عزازقة على العاشرة

ليلا، وهناك وزعت الأعمال الفدائية عليهم، ثم قاد الثورة بعد ذلك في المنطقة بشجاعة وبطولة وحكمة.

جنود الاحتلال يعيثون فسادا في دار العقيد

وفي يوم 2 نوفمبر انقضّ رجال الدرك الفرنسي على دار العقيد بالقرية فعاثوا فيها فسادا، وأهانوا زوجته شرَّ إهانة وروّعوا أولاده، وبعد ذلك بيوم أو يومين، دمّر الجيش الفرنسي دارا له جديدة انتهى من بنائها، وكان يستعد للانتقال إليها.

ابن العقيد يلتحق بالثورة ويفوز بالشهادة

التحق بالثورة عشرات من أبناء القرية والقرى المجاورة، ومن بينهم ابن العقيد الذي كان رغم صغره رابط الجاش، صادق الباس، قوي الوطنية، مطبوعا على الانضباط، تماما كوالده، وبعد أشهر أُصيب بجروح خطيرة في اشتباك عنيف استشهد بعد أمد قصير، وحينما علم والده باستشهاده، تأثر قليلا وفاضت عيناه بالدموع، ثم دعا له بالرحمة، وقال: إنه من مهر حرية الجزائر الذي لا بد أن يكون غاليا!

العقيد يرأس عملية (العصفور الأزرق)

وفي أكتوبر 1955 - 1956 أُسنِدت إليه قيادةُ عملية (العصفور الأزرق) لكفاءته الحربية، وقدمه في النِّضال، وإخلاصه المتميز للجزائر والثورة، ولشهدته بكتمان السرّ إلى أقصى الحدود، فأدّى المهمة على أحسن وجه، وأكمل حال. والعملية ستظل عبر التاريخ أوضح الدلائل على أن وراء ثورة التحرير الجزائرية أدمغةً متميزة قادرة على صنع الخوارق والغرائب!

العقيد يسافر إلى تونس

وفي أوائل سنة 1958 سافر العقيد إعزورن إلى تونس، وتجشم في الطريق مشاق كبيرة كادت تؤدي بحياته، ونزل به مرض تضاعف به تعبه، ذكر لي وهو يتحدث عن هذا السفر انه وصل إلى تونس بين الموت والحياة، مما استوجب دخوله إلى المستشفى فور وصوله إلى تونس، وبعد أن استعاد صحته وعافيته، سافر إلى ليبيا ليتصل بي هناك حيث كنت مكلفا بالإعلام الثوري بطرابلس الغرب، وقضى معنا قرابة شهر، وحضر أسبوع الجزائر الذي تُجنَّد فيه كل طاقات الدولة والشعب لصالح الثورة، فرأى بعينيه ما أثار دهشته، وملك عليه مشاعره وأحاسيسه، ومن حماس إخواننا الليبيين للثورة وتضحياتهم في سبيلها.

العقيد يحاول العودة إلى أرض الجزائر

بعد عودته من ليبيا إلى تونس بنحو تسعة أشهر، اعتزم العودة إلى أرض المعركة ليستأنف الجهاد مع إخوانه المجاهدين، وفعلا حاول الدخول إليها بصحبة العقيد عبد الرحمن ميرة، بيد أنهما عندما وصلا إلى مكان يدعى (الخنقة) بجبل (زريف) وهو قدر مشترك بين الجزائر وتونس، عزم على الدخول إلى الجزائر عبر الصحراء، بينما خطط عبد الرحمن ميرة للدخول إليها على طريق الجبل، وكانت النتيجة أن وصل ميرة، وضاع إعزورن في الصحراء أياما بلغ خلالها حدا لا يوصف من العذاب المهين، وكاد يموت عطشا وجوعا وتعبا، وأخيراً عثر عليه الأمن الوطني التونسي فسارع به إلى تونس حيث قضى في المستشفى قرابة شهر في المعالجة، ثم ظل بتونس مكلفًا بالعمل في أجهزة الثورة حتى انتهت بالنصر المبين في 19 مارس سنة 1962.

العقيد في الجزائر بعد الاستقلال

عاد العقيد إلى الجزائر وقد انتزعت سيادتها وأخذت تخطط لبناء المستقبل، فكان العقيد من بُناة هذا المستقبل ومشيّدي صرحه، فتقلب في وظائف كان فيها على عادته الرجل الأمين الوفيّ، الذي يغار على الجزائر ومكاسب ثورتها، ويحرص جدّ الحرص على أن يكون دأبا ابنها البار الأمين!

العقيد يؤدي فريضة الحج مع هذا الكاتب

وكانت أمنية العقيد بعد أن تحققت أمنية الجزائر الكبرى أن نحج معا، وكان هذا حلمه في النوم واليقظة. وفي سنة 1975 شاء القدر أن يحقق هذا الحلم، فسافرنا معا إلى الأراضي المقدسة، وقضينا هناك شهرا نستنطق المعالم التاريخية ونستلهمها دروسا وعبرا، وكان حصاد ذلك كتابنا الصادر عن (دار الحكمة) تحت هذا العنوان: (في أرض النبوة).

وفاته

كان قبل أن ينزل به المرض الذي توفي به يشكو من (الدوخة) من حين لآخر، وقد التقيته يوما بالأبيار قرب منزله يمشي في خطوات وئيدة، ولما سألته عن صحته ذكر لي أنه يشعر بالدوخة أحيانا وأن طبيبه قد أمره بالمشي من حين لآخر، ولما لاحظت عليه ضعفا وشحوبا في الوجه وضيقا في التنفس فتحت له باب السيارة وصعد بصعوبة!

وبعد أيام قليلة دخل المستشفى الجامعي فظل فيه تحت رعاية الأستاذ محمد التومي الاختصاصي في أمراض القلب، وفي يوم 5 جانفي 1988 انتقل إلى جوار الله ودفن بالعالية في حفل جنائزي مهيب رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه!

العقيد محمدي السعيد

ولد باربعاء ناث يراثن، ولاية تيزي وزو يوم 27 / 12 سنة 1912، وعندما بلغ الثامنة من عمره دخل المدرسة لتعلم الفرنسية، فظل بها إلى سنة 1927، حيث ارتأى والده أن يأخذه معه إلى فرنسا -وكان يعمل بها- ليكون تحت نظره في هذه الفترة الهامة من العمر، وليواصل دراسته أيضا إن تيسرت له أسباب ذلك!!

وفعلاً واصل دراسته هناك حسبما سمحتْ له الظروف، واستطاع أن يكوّن نفسه تكوينا أعدّه للقراءة النافعة التي أضاءت له آفاق الحياة، وبصّرته بفلسفات الغرب، ومذاهبه المختلفة، وعقائده المتباينة، وأفكاره المتضاربة، وأصبح بفعل ذلك، يأخذ ما يتلاءم ودينه ووطنه، وما يتمكن به من خدمتهما ويطرح من نفسه غير ذلك!

أما اللغة العربية فلم تتح له الفرصة لتعلمها رغم تعطشه إليها، وإدراكه أنها لغة دينه ووطنه، وأن الإنسان بغير لغته غريب بين أهله وعشيرته، وكان يؤمن بهذا الرأي: «إن التعليم باللغة الأروبية ينقل بعض الأفراد إلى العلم، ولكن التعليم باللغة الوطنية ينقل كل العلم إلى الأمة».

وفي سنة 1945 دخل سجن (لانبيس) بباتنة وقضى فيه سنوات وخرج أواخر سنة 1952 فهناك تعلم اللغة العربية واستطاع بفضل مواهبه الفطرية وتوافره الجدي على التحصيل، أن يُلم إلمامات حسنة بقواعد النحو والصرف، وينال قسطا من الثقافة الإسلامية، له أثره البعيد في حياته العملية بعد ذلك!

وفي عهد الثورة (1957 ـ 1958) نال شهادة المدرسة العليا للألوية في العباسية بالقاهرة.

أما عن حياته النضالية، فهو وطني غيور، قضى كل عمره في النضال والجهاد في سبيل حرية الجزائر واستقلالها، كان مناضلا في حزب «نجم شمال إفريقيا» وشارك في التهيئة والتنظيم لثورة أول نوفمبر سنة 1954 في الولاية الثالثة، إذ كان النائب الأول للمناضل المرحوم كريم بلقاسم من أبريل 1954 وبدأ الثورة في أول نوفمبر 1954 في الولاية الثالثة، وتولى عدة مسؤوليات في عهدي الثورة والاستقلال، فكان قائدا للولاية الثالثة، ووزيرا للدولة في الحكومة المؤقتة التي ترأسها السيد بن يوسف بن خدة، وعضوا في مجلس الثورة، ونائبا لرئيس الجمهورية الجزائرية السيد أحمد بن بلة!

وأبرز مميزاته الذاتية، أنه ذو جدّ وعزم وحزم، أشد ما يكره أن يكون تابعا ويعمل مقيدا، ويعيش متواكلا، ويسعى على غير اطمئنان وفي رؤية غير واضحة، وأشد ما يزدري ويحتقر، الخيانة، والنفاق، والتلون والمراوغة، وأشد ما يثير حقده وغيظه إلى أبعد الحدود أن يرى من لا يغضب للإهانة، ومن لا يثور للعدوان، ومن يصبر على الذل والهوان، ومن يهتك الحرمة أو يدوس الفضيلة.

وكان يحب العلماء ويقدرهم ويتواضع لهم ويحاول أن يستنير بآرائهم، ويستفيد من علمهم، وكان يتخير صلاة الجمعة في المساجد التي اشتهر أئمتها بسعة الأفق، وغزارة العلم، والمقدرة على مواكبة الحياة في توثبها وتطورها.

أما التدين فهو فيه طراز مثالي، يقوم بالواجبات الدينية خير قيام، ويقدس الشعائر الإسلامية غاية التقديس، ويحاول -ما استطاع- أن

يتفهم أسرار الإسلام، ويفقه أبعاده، ويغوص على أعماقه حتى لا يكون مسلما وراثيا فحسب.

وفي شهر جويلية سنة 1961 ترأس وفدا يتركب من السيد محمد كسوري والشيخ العباس إلى العراق والمملكة العربية السعودية، واستقبل الوفد في البلدين الشقيقين استقبالا حارا، وأقيمت على شرفه مآدب فاخرة، أشيد فيها بكفاح الشعب الجزائري البطل، وأمجاده العظيمة، وكانت للكلمات التي ألقاها رئيس الوفد في هذه اللقاءات أثرها البالغ في النفوس لما اتسمت به من حرارة الإيمان والوطنية، وهتفت الجموع الحاشدة باسم الجزائر وثورة الجزائر وتلاقت العواطف الظامئة على ورد الإخاء والمودة.

وعندما عاد الوفد من هذه الزيارة كنت بتونس وأخبرني العقيد إعزورن بذلك فزرناه وقضينا معه نحو ساعتين نتحدث عن الرحلة، وأذكر أنه لم يدع لنا فرجة بين كلامه الدافق، لنعلق، أو نلاحظ، أو نسأل، بل كان يتحدث بشهوة لا حد لها عما رأى في العراق والسعودية من صور التقدير للشعب الجزائري، والإعجاب ببطولته والأمل الباسم في مستقبله!

وهكذا كانت حياة هذا الرجل كلها جهادا وتضحية، وثباتا وصمودا، حتى التحق بالرفيق الأعلى على 12 زوالا من يوم 5 ديسمبر 1994، واختفى في قبره كما يختفي كل ميت، ولكن تاريخه الحافل بجلائل الأعمال لن يختفي أبدا وسيظل يذكِّر أهل الغفلة والنسيان «أن الوطني الصادق هو الذي يبذل ولا يطمع في العوض، ويضحي ولا يفكّر في الثواب، بل كل سعادته أن يسعد وطنه».

فرحمه الله، ورحم كل الذين جاهدوا في سبيل تحرير الجزائر، وخدموا دينها ولغتها، بحسن القول، وخالص العمل، وصدق النية!

إن دور هذا المناضل في عملية (العصفور الأزرق) له اهميته الفعّالة، ومن ثم كنا نوينا أن نخصص له بين تراجم المناضلين الآخرين ترجمةً وافية لمراحل حياته، ترتقي إلى مستواه الوطنيّ والنضالي، ولكن هدفنا هذا تعذّر تحقيقه رغم الجهد المبذول، لأننا حينما سألنا أقاربه والمناضلين الذين عرفوه واختلطوا به -وهم قلة- وجدناهم لا يعرفون عنه أكثر مما عرفناه، وما عرفناه استقيناه من المرحوم كريم بلقاسم ومحمد إعزورن، لا يعدو أن يكون معلومات عامة تقليدية لا تفي بغرضنا هذا.

ولقد أوصينا النائب المحترم السيد اسماعيل ميرة أن يعرّج في أحد تنقلاته بين العاصمة وبجاية على بيت المناضل بعزازقة، علّه يعثر عند أبنائه على معلومات مفيدة، ولكنهم مع الأسف لم يفيدوه بشيء يمكن أن يُثري الموضوع، وأمام هذا الوضع لم يسعنا إلا أن نكتفي بالموجود رغم قلته:

إن مبادرته باحتضان العملية الخطيرة (العصفور الأزرق) ليعكس وطنيته الصادقة، وشجاعته وإقدامه، فلولا ذلك أقدم على عملية خطيرة لا يدري نتيجتها وعقباها، ولكنه في سبيل الجزائر الحبيبة التي ملكت عليه نُهاه، خاطر بنفسه، وباهله وواجه المهالك بكل شجاعة!

إنه ومن شاركوا في العملية تحملوا -بلا شك- تكاليف شاقة، وخاضوا بحراً لجّياً، وواجهوا أفقا غائما تكتنفه رِيَب وظنون، إذا نجحوا فطوبى لهم وللجزائر، وإن خسروا فويل ثم ويل لسوء العاقبة.

وكانت العاقبة -ولله المنّة والحمد- إن نجحوا في القضية، وخرجوا إلى شاطئ السلام، مرفوعي الرؤوس، عاليِّ الجباه، يذكرهم التاريخ في أشرق صفحاته بالإعجاب والتقدير، ويظلون عبر التاريخ

شواهد ناطقةً على أن ممن حرَّروا الجزائر دهاة ضحكوا على أذقان القادة الفرنسيين يوما.

أما من هو هذا الرجل، فهو أحمد زيدات ويُدعى (أحْند أوزايد)، وُلد بعزازقة يوم 8 فبراير سنة 1912. واسم أمه شاوش فطة، واسم أبيه محمد عمرو.

وانتظم في حزب الشعب (حركة انتصار الحركات الديموقراطية) سنة 1947، وقد عرف في نضاله بالوفاء للحركة، والنشاط الجاد في النضال السياسي. وفتح مطعما في مدينة عزازقة، بإيعاز وتكليف من القيادة ليكون بمثابة همزة وصل بين مختلف خلايا الحزب، وفعلا كان مركزا لاتصالات المناضلين ومرصداً لتنظيم العمليات ضد العدو، وخاصة العمليات الفدائية، وقد كلف من قبَل قيادة الثورة بمهمة السهر على نجاح عملية (العصفور الأزرق) وقبلها رغم خطورتها، فقام بتشكيل لجنة تنظيم وتسيير، تتألف من هؤلاء المناضلين:

محلال سعيد – النائب الأول لقائد العملية

سعيد محند أويذير – من تيزي وزو (آث زمنزر)

حمادي محمد – من (اغريب)

عمر تُومي – (تغزيرت)

سي موح الطاهر – من (تميزار) بالقرب من سوق الأحد

ونظراً لكفاءته النضالية، ومجهوده البارز في هذه العملية، رُقي إلى رتبة الصاغ الأول (الرائد) في أجل قصير!

وفي اتجاهه يوما إلى (أوزلاقن) بنواحي آقبو لمهمة كلّف بها تفطن له الجيش الفرنسي، وهو راكب على بغل، فاطلقوا عليه الرصاص، فسقط شهيدا والتحق بالذين سبقوه إلى النعيم وذلك سنة 1957، رحمه الله ورحم جميع الشهداء.

المراجع

- أعداد من (المقاومة الجزائرية) سنتي 56 – 57
- أعداد من المجاهد سنوات 57 – 60.
- معلومات شفوية عن كريم بلقاسم سنة 1959م وعن:

  إعزورن محمد قبل وفاته بثلاثة أشهر.

  ومحمدي السعيد سنة 1988.
- عمر أزايد شقيق أحمد أزايد 1988م.
- تقرير ولاية تيزي وزو عن أحداث الثورة الذي قدم للملتقى الوطني الثاني لكتابة تاريخ الثورة 1984م.
- الرائد إغيل علي أرزقي 1988م.

ملحق الصور



الشيخ البشير آيت صديق أمام قرية أبزار بمنطقة القبائل الكبري الذي كون رجالاً أبطالاً لثورة نوفمبر الخالدة منهم رئيس عملية العصفور الأزرق العقيد محمد أعزورن، وقد توفى الشيخ سنة رحمه الله



الشهيد أحمد أزايد الذي لعب دورا هاما في المنطقة



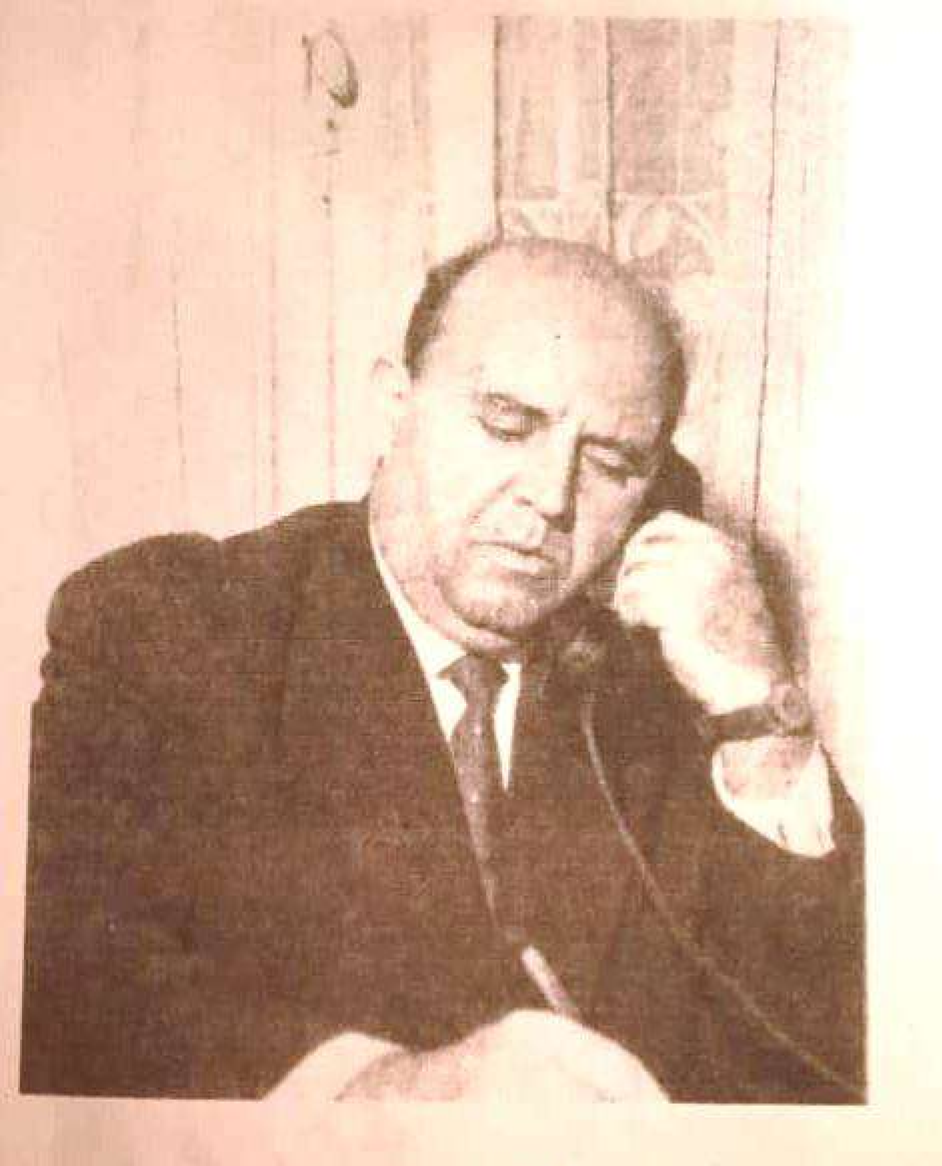
العقيد إعزورن على اليمين ومؤلب الكتاب على اليسار، وقد وقفا
أمام سيارة شاركت مشاركة فعالة في تفجير الثورة بالمنطقة



على اليمين المرحوم كريم بالقاسم، وعلى اليسار العقيد
محمدي سعيد وهما يخططان للعمليات العسكرية



المرحوم كريم بالقاسم



العقيد محمدي سعيد



المرحوم العقيد إعزورن محمد رئيس المنطقة
«العصفور الأزرق»



المقيم العام بالجزائر «في مولي»



المقيم العام بالجزائر «جاك سوستال»



المقيم العام بالجزائر بعد سوستال
«روبار لكوست»

الفهرس

هذا الكاتب



- حفظ القرآن الكريم في الثامنة وأربعة أشهر؛
- درس في جامع الزيتونة من سنة 1948 إلى 1951، وتخرج منه بشهادة التحصيل؛
- ألف كتابه الأول «أدباء التحصيل» في أربعة أجزاء وهو مازال طالبا في الزيتونة؛
- خدم الثورة التحريرية من يوم إندلاعها إلى يوم إنتهائها في الميدان العسكري والسياسي؛
- قدم عدة برامج على الإذاعة الوطنية في مدة تزيد عن أربعين سنة؛ قدم على الشاشة زهاء ثلاثمائة حديث؛
- كتب لأي أكثر من ثلاثين مجلة وصحيفة داخل الوطن وخارجه؛
- ألف 113 كتابا في شتى المناحي والمجالات؛
- لا يؤمن بالحظ وإنما بتوفيق الله وفعالية الإرادة واستغلال ا...

هذا الكتاب

إذا كانت الثورة الجزائرية معجزة بعقيدتها وبطولتها ونظامها فإنها أيضا معجزة بذكاء قادتها الخارق، ومكرهم المتميز، وخداعهم العجيب، وإدراكهم العميق لقول نبيهم «الحرب خدعة»، ومن أراد أن يعرف هذا بعمق فعليه بقراءة هذا الكتاب

صورة الغلاف: من اليمين إلى اليسار المرحوم محمدي السعيد أو سي الناصر - وزير دولة في الحكومة المؤقتة التي يترأسها بن يوسف بن خدة، ثم العقيد محمد إعزورن - المشرف على عملية العصفور الأزرق العجيبة، ثم الأستاذ محمد الصالح الصديق - المجاهد المكلف بإعلام للثورة في ليبيا خلال ثورة التحرير



D. L. 4853/2014